

أخبار الجامع

تركي بن الحسن الدهماني

أمواج
للطباعة والنشر والتوزيع

تركي بن الحسن الدهماني

أخبار الجاحظ



شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 2012م

رؤيتنا: العلم والثقافة أساسان متينان للحياة السوية على طريق النجاح والعمل الإبداعي
رسالتنا: نشر الإبداعات في شتى صنوف العلم والمعرفة بما يسهم في التطور مع المحافظة
على الموروث لإعداد جيل صالح يرتقي بالأمة نحو الآفاق ويضعها في صدارة
الأمم.

قيمنا: منارات ترشدنا لتحقيق رؤيتنا ورسالتنا

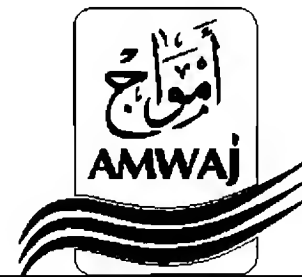
المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2012/1/227)

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
- تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية
- جميع حقوق الملكية الأدبية محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو إدخاله على الكمبيوتر أو ترجمته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN

9789957528461

أمواج للطباعة والنشر والتوزيع
الأردن - عمّان
ماركا الشمالية - دوار المطار - ماركا سنتر
تلفاكس: 0096264888361
E-mail: amwajpub@yahoo.com



للطباعة والنشر والتوزيع

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
فهرس المحتويات	5
خطبة الكتاب	7
ترجمة الجاحظ	9
ذكر انتساب كتبه لمن تقدمه وأسباب ذلك	25
ذكر مديح العلماء في كتب الجاحظ	29
ذكر آثار الجاحظ العلمية	33
ذكر أشهر كتب الجاحظ وأحسنها	41
أخبار الجاحظ	63
باب في مجموع أخبار الجاحظ ونوادره	85
باب في ذكر ما له من الشعر وإنشاده له	105
باب في نقده للشعر وتفسيره كلام الشعراء ورأيه في بعضهم	113
باب في كلام الجاحظ في شتى فنون العلم من أدب ولغة وغيرها	123
باب من رسائل وقعت للجاحظ وفصول من كلامه القصار	143
فصول بليغة للجاحظ	151
باب أخبار الجاحظ في أيامه الأخيرة	157
خاتمة	163
قائمة المصادر والمراجع	165

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر وأعن برحمتك ﴿خطبة الكتاب﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْهَادِي الْأَمِينِ، مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا كِتَابٌ نَافِعٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، مُتَعَلِّقٌ بِسَيِّدِ الْبَلَاغَةِ فِي عَصْرِهِ، هُوَ الْأَدِيبُ الْبَلِیْغُ أَبُو عُثْمَانَ عَمْرٍو بْنَ بَحْرٍ الْجَاظِ، الَّذِي سَطَعَ بَيَانُهُ بِالْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ، وَكَلَامُهُ الْبَلِیْغُ وَالسَّدِيدُ، وَكُنْتُ قَدْ عَمِلْتُ سَنَةً ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَأَلْفَ مَنْ هَجَرْتُ سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، بَحْثًا لَا تَزِيدُ صَفَحَاتُهَا عَنْ الثَّلَاثِينَ أَوْ يَزِيدُ قَلِيلًا، وَكُنْتُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ طَالِبًا فِي كَلِيَةِ الْأَدَابِ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكْمِلْهُ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ لَانْشَغَالِي بِأَعْمَالٍ أُخْرَى.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْأَدِيبَ الْجَاظَ يَسْتَحِقُّ الْعَنَايَةَ الْفَائِقَةَ لَدَى الْبَاحِثِينَ، فَهُوَ نَادِرَةٌ زَمَانُهُ وَلَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ، وَالَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثْلٌ، نَاهِيكَ بِمُؤَلَّفَاتِهِ الَّتِي زَخَرَتْ مَكْتَبَاتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ بِعِلْمِهِ الْوَفِيرِ، وَتَعْلِيقَاتِهِ الْإِحْسَانِ فِي الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ حَتَّى فِي التَّوَارِيخِ وَالْأَحْدَاثِ.

عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَالْجَاحِظُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ مُعْتَقِدٍ اعْتَزَالِي بَدْعِي، وَإِنْ أَتَّهَمَ فِي دِينِهِ إِلَّا
أَنَا وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَجِدَ فِي عِلْمِهِ الْأَدَبِي، وَأَخْبَارِهِ وَتَعْلِيقَاتِهِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ الْحَسَنَ، وَهَذَا مَا
دَعَانِي إِلَيْهِ تَصْنِيفُ هَذَا الْكِتَابِ سَائِلًا الْمَوْلَى جَلَّ فِي عُلَاهُ الْقَبُولُ وَالثَّوَابُ مِنْ عِنْدِهِ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا.



ترجمة الجاحظ

ذكر اسمه ولقبه وكنيته:

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني البصري قيل أنه كنانى وقيل: بل كنانى بولاء، قال يموت بن المزارع أن الجاحظ: هو مولى أبي القملى عمرو بن قلع الكتاني، ثم الفقيهى، وكان جد الجاحظ أسود وكان جمالاً لعمرو بن قلع، ويقال له: فزاره، وقال يموت: والجاحظ خال أمى⁽¹⁾.

قلت: وفي رواية: أن يموت بن المزرع، هو ابن أخت الجاحظ⁽²⁾.

وعن لقبه: سمي بالجاحظ لجحوظ عينيه، ويكنى بأبى عثمان.

صفته:

كان الجاحظ قبيح الخلقة، قصير القامة، وأسود اللون.

وقال فيه أحد الشعراء:

لَوْ يَمْسَخُ الْخِنْزِيرُ مَسْخاً ثَابِتًا مَا كَانَ إِلَّا دُونَ قَبْحِ الْجَاحِظِ⁽³⁾

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (157/10).

(2) سير أعلام النبلاء (13/10).

(3) الفرق بين الفرق للبغدادي ص 163.

ويحكي لنا الجاحظ حكاية له مع المتوكل قال: «ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رأني أستبشع منظري»، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني⁽¹⁾.

ويحكي لنا الجاحظ أيضاً قصة أخرى بشأن قبح خلقتة، فيقول: «وأما الأخرى - يعني امرأة - فأنها أتتني وأنا على باب داري، فقالت: لي إليك حاجة وأريد أن تمشي معي، فقممت معها إلى أن أتت إلى صائغ يهودي وقالت له: مثل هذا ! وانصرفت.

فسألت الصائغ عن قولها، فقال أنها أتت إليّ بفص، وأمرتني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت لها ياستي ما رأيت الشيطان ! فأتت بك، وقالت: «ما سمعت».

ذكر مولده:

قال ياقوت في معجم الأدباء: قال الجاحظ: أنا أسن من أبي نواس بسنة ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له: على ذلك يكون عمر الجاحظ حين مات سنة خمس وخمسين ومائتين، خمس ومائة، وهذا مبالغ فيه، فحين مات لم يتجاوز بضع وتسعين، وعلى ذلك فولادته تكون ستين ومائة، وهو المرجح والصحيح إن شاء الله، وهناك أقوال آخر تقول: أن ولادته سنة خمس وخمسين ومائة. وقيل: تسع وخمسين ومائة. وقيل: ثلاث وستين ومائة، وخمس وستين ومائة.

(1) وفيات الأعلام لابن خلكان (141/3).

ذكر نشأته:

قال المزرباني: حدث المادي، قال: حدثني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان⁽¹⁾.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له: على ذلك تكون نشأة الجاحظ كانت بسيطة، فإنه كان قليل العمل، ولذلك كانت أمه تلومه كثيراً، على انهماكه بجمع الكتب والمطالعة، فالجاحظ كان يجمع الكتب، ويقرأ بنهم شديد، مما جعله ينصرف عن العمل، ولا يبالي من أين يأتي بلقمة العيش، ويروي أنه عاد يوماً إلى البيت لتناول الطعام، فقدمت له طبقاً تكدست عليه الكتب بدل الأطعمة، فقال ما هذا؟ أجابت: هذا الذي تجيء به. فخرج مغتماً، وجلس في الجامع، ومويس بن عمران جالس، فلما رآه مغتماً قال له: ما شأنك؟ فحدثه الحديث، فأدخله المنزل وقرب إليه الطعام، وأعطاه خمسين دينار فدخل السوق واشترى الدقيق وغيره، وحمله الحمالون إلى داره، فأنكرت الأم ذلك، وقالت: من أين لك هذا؟ قال: من الكرايس التي قدمتها لي⁽²⁾.

ذكر شيوخ الجاحظ:

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له: لا ريب أن للجاحظ علماء وشيوخ، أخذ عنهم العلم في شتى فروع، فقد سمع من الأصمعي، وكان كثير الرواية عنه.

وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش، وكان صديقه، وأخذ الكلام عن النظام، ثم إنه تلقف

(1) سيحان: نهر بالبصرة والخبر في معجم الأدباء (74/15).

(2) انظر طبقات المعتزلة لابن المرتضي ص 48.

الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد، وكذلك أخذ عن أستاذ الأصمعي خلف الأحمر، والذي اشتهر برواية الشعر ونحله، وكان الجاحظ معجباً بخلف كثيراً، رغم أنه لم يجالسه إلا قليلاً يقول الجاحظ في ذلك: وقد جلسْتُ إلى أبو عبيدة، والأصمعي، ويحيى بن نجيم، وأبي مالك عمرو بن كركرة، مع من جالست من رواة البغداديين، فما رأيتُ أحداً منهم قصد إلى شعر في النسيب، فأنشده وكان خلف يجمع ذلك كله⁽¹⁾.

ثم إن الجاحظ قد اكتسب الثقافة اليونانية عن طريق علماء الكلام، وعن طريق مصاحبته لحنين بن إسحاق وسلموية.

وحدث عن: أبي يوسف القاضي، وثمانة بن أشرس، وحجاج بن محمد. ذكر علم الجاحظ وقول العلماء فيه:

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له: تبين لنا وبجلاء، أن الجاحظ صرف اهتمامه إلى اللغة والأدب وبقية فنون العلم من منطق وغيرها، لكنه لم يلقي بالاً بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، اللذان هما الأساس في حياة المسلم، وهذا وحده ولا ريب كان سبباً في انحرافه العقدي، ولذلك نجده يصف من يحفظ الحديث الشريف بالحشوية، يروي عن أبو بكر بن أبي داود، قال: كنت بالبصرة، فأتيت منزل الجاحظ عمرو بن بحر - فاستأذنت عليه، فاطلع عليّ من خوخه، فقال: من هذا؟ فقلت: رجل من أصحاب الحديث. فقال: ومتى عهد تني أقول بالحشوية؟ فقلت: إني ابن أبي داود. فقال: مرحباً بك وبأبيك، فنزل ففتح لي، وقال: أدخل، إيش تريد؟ فقلت: حدثني بحديث. قال: أكتب، حدثنا

(1) البيان والتبيين للجاحظ (91/4).

حجاج، عن حماد، عن ثابت أن النبي ﷺ صلى على طنفسة. قلت: حديث آخر، فقال: ابن أبي داود لا يكذب⁽¹⁾.

علق الذهبي رحمه الله تعالى على هذا الخبر فقال: كفانا الجاحظ المؤنة، فما روي من الحديث إلا النزر اليسير، ولا هو متهم بالحديث، بلى في النفس من حكاياته ولهجته، فرما جازف، وتلطخه من غير بدعه أمر واضح، ولكنه أخباري علامة، صاحب فنون وأدب باهر، وذكاء بين عفا الله عنه⁽²⁾.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له: يروى له مع أبو العيناء رواية، أنهما وضعنا حديثاً، قال إسماعيل بن الصفار حدثنا أبو العيناء قال: أنا والجاحظ وضعنا حديث فذك، فأدخلناه على الشيوخ ببغداد، فقبلوه إلا شعبة العلوي فإنه قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله.

فلم يقبله، قال الصفار: كان أبو العيناء يحدث بهذا بعد ما تاب⁽³⁾. وللعلماء قول في علم الجاحظ وعقيدته:

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: وكان من أئمة البدع.

وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: هو مغموس في دينه.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني: أنه كان يرمى بالزندقة، وأنشد في ذلك أشعاراً.

وقال ثعلب رحمه الله تعالى: ليس بثقة، ولا مأمون.

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (158/10).

(2) سيد أعلام النبلاء (15/10).

(3) تاريخ الإسلام (374/18).

وقال أبو العيناء: قال الجاحظ: كان الأصمعي منانياً، فقال له العباس بن رسم: لا والله، ما كان منانياً، ولكن تذكر حين جلست إليه تسأله، فجعل يأخذ نعله بيده، وهي مخصوفة عن يده، ويقول: نعم قناع القدري، فعلمت أنه يعنك فقلت وتركته.

ويروى أن ثعلب رحمه الله تعالى قال: كان كذاباً على الله، وعلى رسوله، وعلى الناس.

وقال أبو منصور الأزهري رحمه الله تعالى في مقدمة تهذيب اللغة: وممن تكلم في اللغات بما حصره في لسانه، وروى عن الثقات ما ليس من كلامهم: الجاحظ، وكان أوتي بسطة في القول، وبياناً عذباً في الخطاب، ومجالاً في الفنون غير أن أهل العلم ذمّوه، وعن الصدق دفعوه.

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى في «الملل والنحل»: كان أحد المجان الضلال، غلب عليه الهزل، ومع ذلك، فإننا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتاً لها، وإن كان كثير الإيراد لكذب غيره.

وقال ابن خشة رحمه الله تعالى في «اختلال الحديث»: ثم نصير إلى الجاحظ، وهو أحسنهم للحجة استنارة وأشدّهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويكمل الشيء، وينقصه، فنجدّه مرة يحتج للعثمانية على الرافضة، ومرة للزندقة على أهل السنة، ومرة يفضل علياً، ومرة يؤخر ويقول: قال رسول الله ﷺ كذا، وتبعه.

وقال المسعودي رحمه الله تعالى: ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه، مع قوله العثمانية، وقد كان أبو الحسن المدائني كثير الكتب، إلا أن أبا

الحسن المدائني كان يؤدي ما سمع، وكتب الجاحظ - مع انحرافه المشهور - تجلو ضد الأذهان، وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم، ووصفها أحسن وصف، وكساها من كلامه أجزل لفظ، وكان إذا تخوف ملك القارئ وسامة السامع خرج من جد إلى هزل. ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة، وله كتب حسان: منها كتاب البيان والتبيين، وهو أشرفها، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الأشعار ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب⁽¹⁾.

قال الجماز رحمه الله تعالى: ويذكر من الفواحي ما يجلب رسول الله عن أن يذكر في كتاب ذكر أحد منهم فيه، فكيف ورقة، أو بعد سطر أو سطرين، ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين، فإذا صار إلى الرد عليهم يجوز للحجة كأنه إنما أراد تبيينهم على ما لا يعرفون، ويشكك الضعفة، ويستهزئ بالحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم، وذكر الحجر الأسود، وأنه كان أبيض، فسوده المشركون، قال: وقد كان يحب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا وأشياء من أحاديث أهل الكتاب، وهو مع هذا أكذب الأمة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم للباطل⁽²⁾.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له: ويروى عنه أنه كان تاركاً للصلاة، وهذا ولا ريب من تعلق بعلم الكلام والقول الباطل، وترك المنهج السليم والعلم الشرعي الصحيح، واتجه نحو علم لا طائل منه ترجى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) مروج الذهب (181/4).

(2) هذه الأقوال كلها في لسان الميزان للعلامة ابن حجر رحمه الله تعالى (409/4).

فقد ذكر أبو بكر الخطيب رحمه الله تعالى في «تاريخ بغداد»، وابن عساكر رحمه الله تعالى في «تاريخ دمشق»: عن أبو عمر أحمد بن أحمد السوسنجردى العسكري - حدثني ابن أبي الذيال المحدث - لبس من رأى قال: حضرت وليمة حضرها الجاحظ، وحضرت صلاة الظهر، فصلينا وما صلى الجاحظ وحضرت صلاة العصر فصلينا، وما صلى الجاحظ، فلما عزمنا على الانصراف قال الجاحظ، لصاحب المنزل: إني ما صليت لمذهب أو لسبب - أخبرك به، فقال له أو فقل له: ما أظن أن لك مذهباً في الصلاة إلا تركها⁽¹⁾.

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: كان من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة. وقال أيضاً في الجاحظ: كان ماجناً قليل الدين، له نوادر.

وقال فيه في موضع آخر: وكان أحد الأذكياء⁽²⁾.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولوالديه: بل أحد النقاد الذين مهرروا في الأدب والشعر، وسوف نذكر ذلك للجاحظ ماله من تعليقات حسنة في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في الجاحظ: وكان واسع النقل كثير الاطلاع، من أذكياء بني آدم وأفرادهم وشياطينهم⁽³⁾.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له: ولأبي حيان التوحيدي رأي في الجاحظ فكثير ما يذكر له محاسنه، وكان يسلك مسلك الجاحظ.

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر (45 / 441) وتاريخ بغداد لأبو بكر الخطيب (10 / 160).

(2) سير إعلام النبلاء للذهبي (10 / 13).

(3) تاريخ الإسلام للذهبي (373/10).

قال أبو حيان في كتابه «تقريظ الجاحظ»: حدثني أبو سعيد السيرافي: وهمك من رجل، وناهيك من عالم، وشرعك من صدوق. قال: حدثنا جماعة من الصابئين الكتاب: أن ثابت بن قرة قال: ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس أولهم: عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في سياسته ويقظته، وحذره وتحفظه، ودينه، ويقينه، وجزالته وبذالته، وصرامته، وشهامته، وقيامه في صغير أمره، وكبيره بنفسه، مع قريحة صافية، وعقل وافر ولسان غضب، وقلب شديد، وطوية مأمونة وعزيمة مأمونة، وصدر منشرح وبال منفسح، وبديهة نضوح، وروية لقوح، وسر طاهر، وتوفيق حاضر، ورأي مصيب، وأمر عجيب، وشأن غريب. دعم الدين وشيد بنيانه، وأحكم أساسه، ورفع أركانه وأوضح حجته وأثار برهانه، ملك في ذي مسكين، ما جنح في أمر إلى ونا، ولا غص طرفه على خنا، ظهارته كالبطانة، وبطانته كالظاهرة، جرح وأسا، ولان وقسا، ومنع وأعطى، واستحذى وسطا، كل ذلك في الله ولله، لقد كان من نوادر الرجال.

والثاني: الحسن بن أبي الحسن البصري - رحمه الله تعالى -⁽¹⁾.

فلقد كان من داري النجوم علماً وتقوى، وزهداً وورعاً، وعفة ورقة، وتألهاً وتنزهاً، وفقهاً ومعرفة، وفصاحة ونصاحة، مواعظه تصل إلى القلوب، وألفاظه تلتبس بالعقول، وما أعرف له ثانياً، ولا قريباً ولا مدانياً، كان منظره وفق مخبره، وعلايته في وزن سريره عاش سبعين سنة لم يقرف بمقالة شنعاء، ولم يُزن بريية ولا فحشاء، سليم الدين، نقي الأديم محروس الحريم، يجمع مجلسه ضروباً من الناس، وأصناف اللباس، لما يوسعهم من بيانه، ويفيض عليهم

(1) قلت: قد وضعنا للأمام الحسن البصري كتاباً أسميناه «الزخرف القصري في مناقب الحسن البصري».

بافتنانه، هذا يأخذ عنه الحديث وهذا يلقي منه التأويل، وهذا يسمع منه الحلال والحرام، وهذا يتبع في كلامه، وهذا يجرد له المقالة، وهذا يحكي له الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء وهذا يسمع الموعظة، وهو في جميع ذلك كالبحر العجاج تدفقاً، وكالسراج الوهاج تألّفاً، ولا تنس موافقة ومشاهدة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عند الأمراء وأشباه الأمراء، بالكلام الفصل، واللفظ الجزل، والصدر الرحب، والوجه الصّلب، واللسان العضب كالحجاج، وفلان، مع شارة الدين وبهجة العلم ورحمة التقى، لا تثنيه لائمة في الله، ولا تذهله رائمة عن الله، يجلس تحت كرسية قتادة صاحب التفسير، وعمرو وواصل، صاحب الكلام، وابن أبي إسحاق صاحب النحو، وفرقد السبخي، صاحب الرقائق، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم، فمن ذا مثله؟ ومن ذا يجري مجراه؟.

والثالث: أبو عثمان الجاحظ - خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين، ومدرسة المتقدمين والمتأخرين، إن تكلم حكي سحبان البلاغة، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال، وأن جد خرج في مسك عامر بن عبد قيس، وإن هزل زاد علي مزبد حبيب القلوب، ومراح الأرواح، شيخ الأدب، ولسان العرب، كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه منازع إلا رشاه أنفاً ولا تعرض له متعرض إلا قدم له التواضع استبقاء الخلفاء تعرفه، والأمراء تصفه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه والخاصة تسلم له، والعامّة تحبه، جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم وبين الذكاء والفهم، طال عمره، وفشيت حكمته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالاقتداء به، ولقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

وقال أبو حيان: قلت لأبي محمد الأندلسي وكان في عداد أصحاب السيرافي: قد اختلف أصحابنا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ، وأبي حنيفة صاحب النبات، ووقع الرضى بحكمك فما قولك؟ فقال: أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما أو عليهما، فقلت: لابد من قول، قال: أبو حنيفة أكثر نداوة وأبو عثمان أكثر حلاوة، ومعاني أبو عثمان لائطة بالنفس سهلة في السمع، ولفظ أبو حنيفة أعذب وأغرب وأدخل في أساليب العرب⁽¹⁾.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولوالديه: وكان أبو حيان قد ألف كتاباً في تقريظ الجاحظ، فإنه كان ممن تأثر به، وسلك مسلك الجاحظ في تصانيفه.

قال ياقوت رحمه الله تعالى: وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ، ويشتهي أن ينتظم في سلكه.

وقال جمال الدين بن نباته المصري رحمه الله تعالى في الجاحظ: وتأمل كتب الفلاسفة، ومال إلى الطبيعيين منهم، وساد علي المتكلمين بفصاحته، وحسن عبارته⁽²⁾.

وللنظام شعر قاله في تلميذه الجاحظ:

حبي لعمر و جوهر ثابت	وحبه لي عرض زائل
به جهاتي الست مشغولة	وهو إلى غيري بها مائل

ذكر شغف الجاحظ بالكتب:

قلت: لم يكن الجاحظ يكتفي بقراءة كتاب، بل كان ينظر فيها ولشغفه بالكتب، كان يكتري دكاكين الوراقين ويثبت فيها للنظر.

(1) انظر المقابسات لأبي حيان التوحيدي ص 53 و ص 54 ص 57 وص 58.

(2) سرح العيون لأبي نباته المصري ص 249.

قال أبو هفان: لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا أستوفى في قراءته كائناً ما كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوارقين ويبت فيها للنظر، والفتح بن خاقان، فإنه كان يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتاباً من كفه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عودِه إليه حتى في الخلاء، وإسماعيل بن أسحق القاضي، فإني ما دخلتُ إليه إلا رأيته ينظر في كتاب، أو يقلب كتاباً أو ينفذها⁽¹⁾.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولوالديه: وللجاحظ كلام مليح في مدح الكتاب موصفاً إياها بأحسن وصف قال في كتابه «الحيوان»⁽²⁾: ونعم الذخر والعقد هو، ونعم الجليس والعدة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنس لساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغرب، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل، والكتاب وعاء مليء علماً وظرف حشي ظرفاً، وأناء شحن مزاحاً وجداً إن شئت كان أبين من سحبان وائل⁽³⁾، وإن شئت كان أعياناً باقلاً⁽⁴⁾. وإن شئت ضحكت من نوادره، وأن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وأن شئت أشجتك مواعظه، ومن لك بواعظ موله وبزاجر مغير، وبناسك فاتك، وبناطق أخرس وبيادر حار، وفي البارد الحار، يقول الحسن بن هاني:

قل لزهر إذا انتحى لثداً اقلل أو أكثر أنت مهذار

(1) معجم الأدباء لياقوت (75/16)، وخاص الخاص للثعالبي ص 73.

(2) انظر الحيوان للجاحظ (44 / 32/1).

(3) هو رجل يضرب به المثل في الفصاحة.

(4) باقل: رسم رجل يضرب به المثل في العي.

سخت من شدة البرودة حتى صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حار

ومن لك بطيب أعرابي، ومن لك برومي هندي، وبفارسي يوناني، وبقديم مولد،
وبميت ممتع، ومن لك بشي يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والخفي والظاهر،
والشاهد والغائب، والرفيع والوضيع، والغث والسمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده.

وبعد فمتى رأيت بستاناً يحمل في ردنٍ، وروضةً تقلب في حجر، وناطقاً ينطق عن
الموتى ويترجم عن الأحياء؟ ومن لك بمؤنسٍ لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن
من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة، من أرباب الوديعة، وأحفظ لما
أستحفظ من الآدميين، ومن الأعراب المتعربين، بل من الصبيان قبل اعتراض الاشتغال، ومن
العميان قبل التمتع بتمييز الأشخاص حين العناية تامة لم تنقص، والأذهان فارغة لم تنقسم،
والإرادة وافرهم لم تتشعب والطينة لينة فهي أقبل ما تكون للطبائع، والقضيب رطب فهو
أقرب ما يكون من العلوق حين هذه الخصال لم يخلق حديدتها ولم يوهن غربها ولم تتفرق
قواها وكانت كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ويقول في موضع آخر: والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا
يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستميح الذي لا يستريثك، والجار الذي لا يستبطيك،
والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق
ولا يحتال لك بالكذب.

والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال أمتاعك، وشحذ طباعك وبسط لسانك، وجود
بنانك وفخم ألفاظك، وبجح نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصدقة الملوك
وعرفت به في شهرٍ ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهرٍ، مع السلامة من الغرم، ومن كدِّ
الطلب، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم، ومن الجلوس بين يدي من أنت أفضل منه
خُلُقاً، وكرم منه عرقاً ومع السلامة من مجالسة البُغضاء، ومقارنة الأغبياء.

والكتاب هو الذي يعطيك بالليل كطاعته بالنهار، ويعطيك في السفر كطاعته في
الحضر، ولا يعتل بنوم، ولا يعتريه كلال السهر، وهو المعلم الذي أن افتقرت إليه لم يحُقرْكَ،
وأن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وأن عزلت لم يدع طاعتك، وإن هبت ريح
أعدائك لم ينقلب عليك، ومتى كنت منه متعلقاً بسبب أو معتصماً بأدنى حبلٍ، كان لك فيه
غنى من غيره، ولم يضطرك وحشة الوحدة إلى جليس السوء، ولو لم يكن من فضله عليك
وإحسانه إليك إلاّ منعه لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المارة بك، مع ما في ذلك من
التعرض للحقوق التي تلزم، ومن فضول النظر، ومن عادة الحرص، ومن ملابسة صغار الناس
وحضور ألفاظهم الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديئة وجهالاتهم المذمومة، لكان في
ذلك السلامة ثم الغنيمة، وإحراز الأصل مع استفادة الفرع، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه
يشغلك عن سخف المنى، وعن أعتياد الراحة، وعن اللعب وكل ما أشبه اللعب، لقد كان
على صاحبه أسبغ النعمة، وأعظم المنّة.

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم، وأصحاب الفكاهات
ساعات ليلهم، الكتاب وهو الشيء الذي لا يُرى لهم فيه مع النيل أثر في ازدياد

تجربة، ولا عقل، ولا مروءة، ولا في صَوْن عرض، ولا في أصلح دين، ولا في تثمير مال، ولا في ربّ صنعة، ولا في ابتداء إنعام.

قلت: قد أحسن الجاحظ في وصفه ومديحه للكتاب، وله أيضاً كلام مليح في الخط ومقدار الحاجة إليه حيث قال: وأقول لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكّاء، وكل أقطاع وكل أنفاق وكل أمان وكل عهد وعقد، وكل جوار وحلف، ولتعظيم ذلك، والثقة به والاستناد إليه، كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة، تعظيماً للأمر، وبعيداً من النسيان⁽¹⁾.



(1) انظر الحيوان للجاحظ (1 / 48).

ذكر أنتساب كتبه لمن تقدمه وأسباب ذلك

قلت: كان الجاحظ ممن حُسِدَ على صنعته في أول الأمر، ولذلك كان يؤلف ويخرج كتبه بأسماء مستعارة، ويذكر لنا الجاحظ إن كتبه لاقت عند الناس في أو الأمر بالإهمال والسخط، ويعلل سبب ذلك بالحسد، ويعني بهم أهل العلم في عصره، قال في رسالته: «فصل ما بين العداوة والحسد»⁽¹⁾ «وإني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه، والرسائل والسيرة، والخطب والخراج والأحكام، وسائر فنون الحكمة، وأنسبه إلى نفسي، فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم، بالحسد المركب فيهم، وهم يعرفون براعته ونصاعته، وأكثر ما يكون هذا منهم إذا كان الكتاب مؤلفاً لملكٍ معه المقدرة على التقديم والتأخير، والخطِّ والرِّفع، والترغيب والترهيب، فإنهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الإبل المغتلمة، فإن أمكنتهم حلية في إسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي أُلِفَ له فهو الذي قصدوه وأرادوه، وإن كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقاباً، ونقرساً بليغاً، وحاذقاً فطناً، وأعجزتهم الحلية، سرقوا معاني ذلك الكتاب وألفوا من أعراضه، وحواشيه كتاباً وأهدوه إلى ملك آخر، و متوا إليه به⁽²⁾، وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوباً إليّ، وموسوماً بي. وربما ألفت الكتاب الذي

(1) رسائل الجاحظ (1/ 350) لعبد السلام محمد هارون.

(2) أي توسلوا به إليه، وملت: التوسل.

هو دونه في معانيه وألفاظه، فأترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن الملقف، والخليل، وسلم صاحب بيت الحكمة، ويحيى بن خالد، والعتابي، ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب، فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب، الذي كان أحكم من هذا الكتاب، لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ، ويكتبونه بخطوطهم، ويصيرونه إماماً يقتدون به، ويتدارسون به بينهم، ويتأدّبون به، ويستعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة ويأتم بهم قوم فيه، لأنه لم يترجم باسمي، ولم ينسب إلى تأليفي. ولربما خرج الكتاب من تحت يدي محصفاً كأنه متن حجر أملس بمعانٍ لطيفة محكمة وألفاظ شريفة فصيحة، فأخاف عليه طعن الحاسدين، إن نسبته إلى نفسي، وأحسد عليه من هم بنسبته إليه لجودة نظامه وحسن كلامه، فأظهره مبهماً غفلاً في أعراض وصول الكتب التي لا يُعرف وضاعها، فينالون عليه انهيار الرّمْل، ويستبقون إلى قراءته سابقَ الخيل يوم الحلبة إلى غايتها.

وحسد الجاهل أهونُ شوكةً وأذلّ مَجْنأً، من حسد العارف الفطن، لأن الحاسد الجاهل يبتدر إلى الطعن على الكتاب في أول وهلة يُقرأ عليه، من قبل استتمام قراءته ورقة واحدة، ثم لا يرضى بأيسر الطعن وأخفه حتى يبلغ منه إلى أشده وأغلظه، من قبل أن يقف على فصوله وحدوده، وليس ثلبة مفسراً مفصلاً، ولكنه يجمل ذلك ويقول: هذا من أوله إلى آخره، وباطل من ابتدائه إلى انقضائه، ويحسب أنه كلما ازداد إغراقاً وطعنًا إطناباً في الحمل على واضع الكتاب، كان ذلك أقرب إلى القبول منه».

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولولديه: ربما سبب ذلك ليس حسداً من عند أنفس هؤلاء، الذين ذكرهم الجاحظ، وأظن أن الجاحظ ليس بثقة ولا مأمون عند هؤلاء حتى ينظروا في تواليفه، وإن كانت كما ذكر كتبه محكمة ومتقنة، والطاعنون عليه من أهل العلم كثير، ذكرنا أقوالهم فيه، في موضع سابق، وما لهم عليه من مأخذ جمّة في كتبه، وفي الجاحظ نفسه، إلا أننا إذا أنصفنا الجاحظ فإن كتابه الشهير «البيان والتبيين» يكاد يكون أفضل ما قدم الجاحظ من كتب، ولهذا مدحه العلماء وأطنبوا في مدحه، ولعل الجاحظ وضع هذا الكتاب لتحسين صورته.



ذكر مديح العلماء في كتب الجاحظ

قلت: وعلى كل حال قد نجح الجاحظ في حيلته تلك، وأكبر الظن أن بيانه وفصاحته دور أكبر في شهرته، وبعد صيته، فصارت مصنفاته تُقرأ وباسمه، وهو رجل فكاهي ظريف حمل الناس على محبته وجمع كتبه.

قال أبو حيان: ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي، الشيخ الصالح قال: سمعت ابن الأخشاد شيخنا أبا بكر يقول: ذكر أبو عثمان في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست، ومر بي في جملتها الفرق بين النبي والمنتبئ، وكتاب دلائل النبوة، وقد ذكرهما هكذا على التفرقة، وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه، فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلا على واحد منهما وهو كتاب دلائل النبوة، وربما لقب بالفرق خطأ، فهمني ذلك وساءني في سوء ظفري به فلما شخصت من مصر ودخلت مكة - حرسها الله تعالى - حاجاً أقمتُ منادياً بعرفات ينادي - والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازع أوطانهم، وتباين قبائلهم وأجناسهم، من المشرق إلى المغرب، ومن مَهَبِّ الشمال إلى مَهَبِّ الجنوب، وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر «رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمنتبئ لأبي عثمان الجاحظ على أي وجهٍ كان».

قال: فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة، وقال: حجب الناس مني، ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به.

قال ابن أخشاد: وإنما أردت بهذا أبلغ نفسي عُذرها.

قال ياقوت: وحسبك بها فضيلة لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الأخشاد - وهو في معرفة علوم الحكمة وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة - يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام، وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس اليوم لا يكاد تخلو خزانه منه ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر⁽¹⁾.

قلت: وليس هذا فحسب، بل هين لمن يبحث عن كتاب، فهذا سَلام بن يزيد الأندلسي والذي ما أن قرأ رسالة التبريع والتدوير حين وصلت الأندلس، وكتابه الشهير البيان والتبيين، رحل إلى المشرق، وتلمذ على يديه.

قال أبو محمد الحسن بن عمرو النجيري كنت بالأندلس ف قيل لي: إن هاهنا تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن يزيد، ويكنى أبا خلف، فأتيته فرأيت شيخاً هماً⁽²⁾ فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس فقال: كان طالب العلم بالمشرق يسرف عند ملوكنا بقاء أبي عثمان، فوقع إلينا كتاب التبريع والتدوير له، فأشاروا إليه. ثم أردفه عندنا كتاب البيان والتبيين له فبلغ الرجل الصكاك⁽³⁾، بهذين الكتابين قال: فخرجت لا أعرج على شيء حتى قصدت بغداد فسألت عنه ف قيل: هو بسر من رأى، فأصعدتُ إليها ف قيل لي: قد أنحدر إلى البصرة، فأنحدرتُ إليه وسألتُ عن منزله فأرشدتُ ودخلتُ إليه فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحيةٍ غيره، فدهشت فقلت أيكم أبو عثمان؟ فرفع يده وحركها في وجهي وقال: من أين؟

(1) معجم الأدباء لياقوت (101/16).

(2) الهم بالكسر: الشيخ الفاني.

(3) كناية عن علو قدرة ورفعة شأنه.

قلت: من الأندلس فقال: طينة حمقاء، فما الاسم؟ قلت: سَلَام. قال: اسم كلب القراد، ابن من؟ قلت: ابن يزيد. قال: بحق ما صرت أبو من؟ قلت: خلف. قال: كنيته قرد زبيدة، ما جئت تطلب؟ قلت: العلم. قال: أرجع بوقت، فإنك لا تفلح. قلت له: ما أنصفتني، فقد اشتملتُ على خصال أربع: جفاء البلدية، وبُعد الشقة، وغرة الحداثة، ودهشة الداخل. قال: فترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري، ما كان يَجِبُ أن تعرفني بها؟ قال: فأقمْتُ عليه عشرين سنةً⁽¹⁾.

وقال أبو الفضل بن العميد: ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس: أما الفقه فعلى أبي حنيفة، لأنه دَوَّنَ وخلد ما جعل من يتكلم فيه بعدهُ مشيراً إليه ومُخْبِراً عنه. وأما الكلام فعلى أبي الهذيل، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان الجاحظ.

وحدث أبو القاسم السيرافي قال: حضرنا مجلس الأستاذ أبي الفضل فقصر رجل بالجاحظ⁽²⁾ وأزرى عليه، وحلم الأستاذ عنه.

فلما خرج قلت له: سكت أيها الأستاذ عن هذا الجاهل في قوله الذي قال مع عادتكَ بالرد على أمثاله. فقال: لم أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله، ولو وافقته وبينتُ له النظر في كتبه صار إنسان، يا أبا القاسم كتب الجاحظ تُعَلِّمُ العَقْلَ أولاً والأدب ثانياً⁽³⁾.

(1) معجم الأدباء (104/16).

(2) أي قلل من منزلة الجاحظ وقدره.

(3) معجم الأدباء (103 / 16).

ذكر آثار الجاحظ العلمية

قُلْتُ: اختلف في عدد مصنفات الجاحظ، والتي ذكر بعض منها في مقدمة كتابه «الحيوان» وهي نحو ستة وثلاثون كتاباً.

وذكر ابن النديم أسماء كتب الجاحظ وعددها واحد وعشرون ومائه.

وأورد ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»: بنحو ثلاثة وعشرون كتاباً.

وذكر أحمد الهاشمي في «جواهر الأدب»: للجاحظ أكثر من مائتي كتاب. وعلى كل

حال، لم يكن الجاحظ حين ذكر بعض مصنفاته في مقدمته تلك ليعرض قائمة من مؤلفاته كلها، ليس الأمر كذلك ولو شاء لوضع فهرسة لجميع كتبه. ثم أن بعض مصنفاته لا تزال مفقودة، ككتاب نظم القرآن وغيرها لا تزال حبيسة أسيرة. وذكر حاجي خليفة في «كشف الظنون» عدد مؤلفات الجاحظ خمس وسبعين كتاباً.

أذن هناك اختلاف بين في عدد مؤلفات الجاحظ، وأكبر الظن أن ما ذكره خليفة ليس

فيه إصابة في شيء، لكننا نعذره، كونه لا يعلم إلا ما ذكر، أو قل لم يذكر إلا الذي عرفه ومن

العجب أن أكثر الذي ذكره من أسماء لكتب الجاحظ ليس موجود حالياً وأصبح مفقود.

ولست أدري هل من بارقة أمل في ظهور آثار الجاحظ، قل علم ذلك عند الله.

قائمة بكتب الجاحظ:

- 1- كتاب البيان والتبيين.
- 2- كتاب النبي والمتبني.
- 3- كتاب المعرفة.
- 4- كتاب جوابات كتاب المعرفة.
- 5- كتاب مسائل كتاب المعرفة.
- 6- كتاب الرد علي أصحاب الإلهام.
- 7- كتاب نظم القرآن.
- 8- كتب مسائل القرآن.
- 9- كتاب فضيلة المعتزلة.
- 10- كتاب الرد على المشبهة.
- 11- كتاب الإمامة على مذهب الشيعة.
- 12- كتاب حكاية قول أضاف الزيديه.
- 13- كتاب العثمانية.
- 14- كتاب الأخبار وكيف تصح.
- 15- كتاب الرد على النصارى.
- 16- كتاب عصام المرئيد.
- 17- كتاب الرد على العثمانية.
- 18- كتاب إمامة معاوية.
- 19- كتاب إمامة بني العباس.
- 20- كتاب الفتيان.

- 21- كتاب القواد.
- 22- كتاب اللصوص.
- 23- كتاب ذكر مابين الزيدية والرافضة.
- 24- كتاب صياغة الكلام.
- 25- كتاب المخاطبات في التوحيد.
- 26- كتاب تصويب علي في تحكيم الحكمين.
- 27- كتاب وجوب الإمامة.
- 28- كتاب الأصنام.
- 29- كتاب الوكلاء والموكلين.
- 30- كتاب الشارب والمشروب.
- 31- كتاب افتخار الشتاء والصيف.
- 32- كتاب المعلمين.
- 33- كتاب الجواري.
- 34- كتاب نوادر الحسن.
- 35- كتاب البخلاء.
- 36- كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم.
- 37- كتاب العرجان والبرصان.
- 38- كتاب فخر القحطانية والعدنانية.
- 39- كتاب التربيع والتدوير.
- 40- كتاب الطفيليين.
- 41- كتاب أخلاق الملوك.

- 42- كتاب الفتيا.
- 43- كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك.
- 44- كتاب الحاسد والمحسود.
- 45- كتاب الرد علي اليهود.
- 46- كتاب الصرحاء والهجناء.
- 47- كتاب السودان والبيضان.
- 48- كتاب المعاد والمعاش.
- 49- كتاب النساء.
- 50- كتاب التسوية بين العرب والعجم.
- 51- كتاب السلطان وأخلاق أهله.
- 52- كتاب الوعيد.
- 53- كتاب البلدان.
- 54- كتاب الأخبار.
- 55- كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض.
- 56- كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال.
- 57- كتاب المقينين والغناء والصنعة.
- 58- كتاب الهدايا منحول.
- 59- كتاب الإخوان.
- 60- كتاب الرد على من أُلحد في كتاب الله عز وجل.
- 61- كتاب آي القرآن.
- 62- كتاب الناشئ والمتلاشي.

- 63- كتاب حانوت عطار.
- 64- كتاب التمثيل.
- 65- كتاب فضل العلم.
- 66- كتاب المزاح والجد.
- 67- كتاب جمهرة الملوك.
- 68- كتاب الصوالة.
- 69- كتاب ذم الزنا.
- 70- كتاب التفكير والاعتبار.
- 71- كتاب الحجر والنبوة.
- 72- كتاب آل إبراهيم بن المدبر في المكاتبة.
- 73- كتاب إحالة القدرة على الظلم.
- 74- كتاب أمهات الأولاد.
- 75- كتاب الاعتزال وفضله على الفضيلة.
- 76- كتاب الأخطار والمراتب والصناعات.
- 77- كتاب أحوال العالم.
- 78- كتاب الرد على من زعم أن الإنسان جزء لا يتجزأ.
- 79- كتاب أبي النجم وجوابه.
- 80- كتاب التفاح.
- 81- كتاب الأنس والسلوة.
- 82- كتاب الكبر المستحسن والمستقبح.
- 83- كتاب نقض الطب.

- 84- كتاب الحزم والعزم.
- 85- كتاب عناصر الآداب.
- 86- كتاب تحصين الأموال.
- 87- كتاب الأمثال.
- 88- كتاب فضل الفرس.
- 89- كتاب علي الهملاج.
- 90- كتاب الرسالة إلى أبي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الأولياء.
- 91- كتاب رسالة أبي النجم في الخراج.
- 92- كتاب رسالته في القلم.
- 93- كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب.
- 94- كتاب رسالته في كتمان السر.
- 95- كتاب رسالته في مدح البنيذ.
- 96- كتاب رسالته في ذم البنيذ.
- 97- كتاب رسالته في العفو والصفح.
- 98- كتاب رسالته في أثم السكر.
- 99- كتاب رسالته في الأمل والمأمول.
- 100- كتاب رسالته في الحلية.
- 101- كتاب رسالته في ذم الكتاب.
- 102- كتاب رسالته في مدح الكتاب.
- 103- كتاب رسالته في مدح الوراق.
- 104- كتاب رسالته في ذم الوراق.

- 105- كتاب رسالته فيمن يسمى من الشعراء عَمراً.
- 106- كتاب رسالته اليتيمة.
- 107- كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب بن إسحاق الكندي.
- 108- كتاب رسالته في الكرم إلى أبي الفرج بن نجاح.
- 109- كتاب رسالته في موت أبي حرب الصفار البصري.
- 110- كتاب رسالته في الميراث.
- 111- كتاب في الأسد والذئب.
- 112- كتاب رسالته في الكيمياء.
- 113- كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب.
- 114- كتاب رسالته في القضاة والولاة.
- 115- كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية.
- 116- كتاب رسالته في الرد على القولية.
- 117- كتاب العالم والجاهل.
- 118- كتاب النرد والشطرنج.
- 119- كتاب غش الضاعات.
- 120- كتاب خصومة الحول والعور.
- 121- كتاب ذوي العاهات.
- 122- كتاب المغنين.
- 123- كتاب أخلاق الشطار⁽¹⁾.

(1) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي (106/16 - 110).

قلت: لم يذكر ياقوت كتاب «الحيوان» ضمن مؤلفات الجاحظ.

أما حاجي خليفة فإنه ذكر هذا الكتاب ضمن مصنفات الجاحظ والتي بلغت خمس وسبعين كتاباً.

كذلك كتاب «المحاسن والأضداد» لم يذكره ياقوت، بينما حاجي خليفة ذكره.
والكتابين مطبوع ومتداول بين الناس. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.



ذكر أشهر كتب الجاحظ وأحسنها

أولاً: كتاب البيان والتبيين:

وأشهر هذه الكتب وأحسنها كتاب «البيان والتبيين»، وقد لاقت أعجاب العلماء وطلاب العلم، فإنك ما أن تبدأ بقراءته صفحة صفحة، لا تتوقف عن ذلك البتة، فهو كتاب بحق شيق ومفيد للغاية.

وأذكر أني قرأته مرتين لما فيه من الفوائد الجمّة، والفصول البليغة ويحسن بنا العود إليه.

يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري رحمه الله تعالى في كتابه «الصناعتين» عند الكلام على كتب البلاغة: «وكان أكبرها وأشعرها كتاب البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بحر الجاحظ وهو لعمرى كثير الفوائد، جم المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة، وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته المستحسنة إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في إثناؤه، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتعامل الطويل والتصفح الكثير»⁽¹⁾.

(1) كتاب الصناعتين للعسكري ص 4.

وعبد الرحمن بن محمد بن خلدون صاحب «المقدمة» فيقول عند الكلام على علم الأدب: «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكتاب - المعروف بأدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد»، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها»⁽¹⁾.

قلت: فما أن فرغ الجاحظ من تأليف كتابه «البيان والتبيين» قام بإهدائه إلى الوزير ابن أبي داود، يقول الجاحظ: وأهديتُ كتاب البيان والتبيين، فأعطاني خمسة آلاف دينار⁽²⁾.

والكتاب وضعه الجاحظ لتعليم الناشئة، والكتاب أيضاً، ومعرفة أصول النطق ووضع أمثلة لذلك، ويظهر العديد من أقوال أهل الفصاحة والبلاغة من خطباء وشعراء، كذلك تحدث في كتابه، عن البيان وتعريفه، ووضع شواهد قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، وهي بحق تعد من المصادر القيمة والتي لا يستغنى عنها طالب علم، في الأدب وغيره، ولذلك أستحسن علماء عصره ومن بعدهم هذا الكتاب، وأخذ العلماء من بعده يخطون خطى الجاحظ في التأليف، كابن قتيبة، في كتابه «عيون الأخبار»، وابن عبد ربه الأندلسي، في كتابه الشهير «العقد الفريد» والمبرد في كتابه «الكامل في اللغة والأدب».

رده على الشعوبية:

قلت: ومما قد أمتاز به كتاب «البيان والتبيين»، هو الرد المفحم على أولئك الشعوبيين، والذين ظهروا وازدادوا ظهوراً في عصر الجاحظ، فوضع جزء يرد

(1) مقدمة ابن خلدون ص 554.

(2) معجم الأدباء لياقوت (106/16).

فيه على أفتراتهم الكاذبة وأقوالهم الباطلة، قال الجاحظ: «ونبدأ على اسم الله تعالى، بذكر مذهب الشعوبية، ومن يتحلى باسم التسوية، ويمطاعنهم على خطب العرب، بأخذ المختصرة⁽¹⁾ عند مناقلة الكلام، ومساجلة الخصوم بالمولوزون والمفقى.

والمنثور الذي لم يقف، وبالإيجاز عند المتح⁽²⁾ وعند مجاثاة الخصم، وساعة المشاورة وفي نفس المجادلة والمحاولة.

وكذلك الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة، واستعمال المنثور في خطب الحمالة، وفي مقامات الصلح وسل السخيمة⁽³⁾، والقول عند المعاقرة، والمعاهدة، وترك اللفظ يجري على سجيته وعلى سلامته، حتى يخرج على غير صنعه، ولا اختلاف تأليف، ولا ألتماس قافية، ولا تكلف لوزن.

مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي، والاتكاء على أطراف القسي، وخد الأرض بها، واعتمادها عليها، إذا أستحفزت في كلامها، وأفتنت يوم الحفل في مذاهبها.

ولزومهم العمائم في أيام الجوع، وأخذ المخاصر في كل حال، وجلوسها في خطب النكاح، وقيامها في خطب الصلح، وكل ما دخل في باب الحمالة وأكد شأن المحالفة، وحقق حرمة المجاورة.

وقال الجاحظ في موضع آخر: «وقالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية، القضيبي للإيقاع، والقناة للقار، والعصا للقتال، والقوس للرمي».

(1) المختصرة: هي ما امسك الخطيب بيده من عصا أو شاكل ذلك.

(2) المتح: الاستسقاء من البئر.

(3) السخيمة: الحقد والكراهية.

وقال في موضع آخر: «فتفهم عني، فهمك الله، ما أنا قائل في هذا، وأعلم أنك لم ترَ قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكاً لعرضه، ولا أطول نصباً، ولا أقل غنماً، من أهل هذه النحلة.

وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراحل الفائزة، وتسعد تلك النيران المضطربة. ولو عرفوا أخلاق كل ملة، وزى كل لغة، وعللهم في اختلاف إشارتهم وآلاتهم، وشماثلهم وهيأتهم، وما علة كل شي من ذلك، ولمَ اختلقوه ولمَ تكلفوه، لأراحوا أنفسهم، وتخففت مؤنتهم على من خالطهم.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولوالديه: ثم شرع الجاحظ في وضع أمثلة من أخبار وأشعار، مفحماً أولئك الشعوبيين، وهم من الفرس، والهند والروم، ومن هم على شاكلتهم.

ومما جاء في هذا الكتاب من مواضيع ذكرها الجاحظ، موضوع ذكر فيه ما نزل في البيان من قرآن، كذلك أدب الضيافة، ومن أشتهر بالخطابة من الشعراء، كذلك من أشتهر في علم الإنسان عند العرب، وخطباء بني هاشم، وخطباء الخوارج، وخطباء بعض القبائل، وخطباء هذيل، وخطباء الأنصار، وذكر من أشتهر بالبيان من النساء.

ثم تطرق إلى صفة بلاغة النبي ﷺ وخلقه، وأقوال متفرقة من كلام أبي بكر الصديق، وعُمَر بن الخطاب رضي الله عنه، ونماذج من خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعض خطب الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين. ثم ذكر أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر، وهو كتاب بحق جم المنافع، غزير الفوائد.



ثانياً: كتاب البخلاء:

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولولديه: والكتاب هذا يتحدث عن صنف من الناس وأخلاقهم، ولا ريب أن البخل موجود في كل عصر ومصر، والجاحظ ذكر أعلام في عصره عُرفوا بالبخل، وقبل أن يتطرق الجاحظ في سيرهم وأحوالهم، قال في مقدمة كتابه: «ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبين حجة طريفة، أو تعرف حيلة لطيفة أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد»⁽¹⁾.

ويبدو أن هناك من طلب إلى الجاحظ عمل كتاب في البخلاء، لكنه لم يسمه، يقول في المقدمة: «وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أربابها، وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها، إما بالخوف منهم، وإما بالإكرام لهم، ولولا أنك سألتني هذا الكتاب لما تكلفته، ولما وضعتُ كلامي موضع الضيم والنقمة، فإن كانت لائمة أو عجز فعليك، وإن كان عذر فلي دونك».

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولولديه: ويبدو من قول الجاحظ أنه كان يخشى أن يذكر بعض البخلاء بأسمائهم حتى لا ينقمون عليه بظهور عيوبهم.

يقول: «وهذا كتاب لا أُغركَ منه، ولا أُسترُ عنك عيبه، لأنه لا يجوز أن يكمل لما تريده، ولا يجوز أن يوفي حقه كما ينبغي له، أن هاهنا أحاديث كثيرة متى أطلعنا منه حرفاً عرف أصحابها، وأن لم نسمهم، ولم نرد ذلك بهم، وسواء

سميَناهم، أو ذكرنا ما يدل على أسمائهم منهم الصديق، والولي، والمستور، والمتجمل، وليس
يفي حُسن الفائدة لكم بقبح الجناية عليهم».

وختم كتابه بأطراف من علم العرب في الطعام، قال الجاحظ: «احتجنا عند
التطويل، وحين صار الكتاب طويلاً كبيراً، إلى أن يكون قد دخل فيه من علم العرب
وطعامهم، وما يتمادحون به، وما يتهاجون به، شيء وأن قل، ليكون الكتاب قد انتظم جمل
هذا الباب. ولولا أن يخرج من مقدار شهوة الناس، لكان الخبر عند العرب والأعراب أكثر من
جميع هذا الكتاب»⁽¹⁾.

ويروي لنا الجاحظ في هذا الكتاب، ما حصل له مع محفوظ النقاش والذي دعاه
إلى الضحك عليه:

قال الجاحظ: «صحبني محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلاً فلما صرْتُ قرب منزله،
وكان منزله أقرب إلى مسجد الجامع من منزلي، سألتني أن أبيت عنده، وقال: أين تذهب في هذا
المطر والبرد، ومنزلي منزلك، وأنت في ظلمة وليس معك نار، وعندي لباً⁽²⁾ لم ير الناس مثله، وتمر
ناهيك به جودة، لا تصلح إلا له؟ فملت معه، فأبطأ ساعة ثم جاءني بجام لباء وطبق تمر، فلما
مددت، قال: يا أبا عثمان أنه لباء وغلظه⁽³⁾ وهو الليل وركوده، ثم لسيله مطر ورطوبة، وأنت
رجل قد طعنت في السن، ولم تزل تشكو من الفالج طرفاً ومازال الغليل⁽⁴⁾ يسرع إليك، وأنت في

(1) البخلاء ص 312.

(2) يعني اللبن.

(3) ينبهه بأن اللبن لباً وهو ثقيل على المعدة.

(4) يعني العطش.

الأصل لست بصاحب عشاء، فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ كنت لا آكلًا ولا تاركًا، وحرشت طباعك، ثم قطعت الأكل أشهى كان إليك، وإن بالغت بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بأمرك، ولم نعد لك نبيذًا ولا عسلًا. وإنما قلت هذا الكلام لئلا تقول غداً كان وكان، والله قد وقعت بين نابي أسد، لأنني لو لم أجئك به، وقد ذكرته لك، قلت بخل به، وبدأ له فيه، وإن جئت به، ولم أحذرک منه، ولم أذكرك كل ما عليك فيه، قلت: لم يُشفق عليّ ولم ينصح. فقد برئت إليك من الأمرين جميعاً، فإن شئت فأكله وموته، وأن شئت فبعض الاحتمال، ونوم على سلامة، قال الجاحظ: فما ضحكك قط كضحكي تلك الليلة، ولقد أكلته جميعاً، فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور، فيما أظن، ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به لأتي عليّ من الضحك، أو لقضي عليّ، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب»⁽¹⁾.

قُلْتُ: وللجاحظ مع البخلاء مواقف وأخبار سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.



ثالثاً: كتاب المحاسن والأضداد:

قال الجاحظ في مقدمته: وهذا كتاب وسمته: «بالمحاسن والأضداد» لم أسبق إلى نحلته، ولم يسألني أحد صنعه، ابتدأته بذكر محاسن الكتابة، والكتب، وختمته في ذكر شيء من محاسن الموت، والله يكلؤه⁽¹⁾ من حاسد إذا حسد.

قلت: والكتاب هذا مشكوك في نسبته إلى الجاحظ والله أعلم، وموضوعات الكتاب شيق لما حمله من آداب وفنون فمن ذلك: محاسن الكتابة والكتب، مساوئ اللحن في اللغة، محاسن المخاطبات، محاسن المكاتبات، محاسن الجواب، محاسن حفظ اللسان، محاسن كتمان السر، محاسن الشكر، محاسن المشورة، محاسن الصدق، محاسن العفو، محاسن الصبر على الحبس، محاسن المودة، محاسن الولايات، وغير ذلك من الموضوعات.

ولو تأملنا فيها لوجدناها قد أخذت أخذاً من كتب الجاحظ، كالبيان والتبيين، والحيوان، مما يدل على أن كتاب المحاسن والأضداد منحول للجاحظ، وليس هو من وضعه.

ولو نظرنا إلى مقدمة الكتاب، فإنه نص مأخوذ من رسالة الجاحظ في رسالته: «فصل ما بين العداوة والحسد»⁽²⁾. وهذا وحده كافٍ بأن هذا الكتاب ليس للجاحظ. وإنما تلقفه مؤلفه من كتب الجاحظ ونسبها إليه، ثم أنه أيضاً تلقف مؤلفه من كتب أخرى والله أعلم.

(1) يكلؤه: يحرس ويحفظ.
(2) المحاسن والأضداد ص 18.

رابعاً: كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان:

قلت: لعل من ينظر إلى هذا العنوان يظن أنه كتاب هزل، وما هو كذلك، بل كله

جد.

قال الجاحظ في مقدمته: «وإنه كتاب جدّ غير هزل، لما كتبه لك، وبالله

التوفيق»⁽¹⁾.

قلت: تناول الجاحظ بأدب رفيع، أخبار ذو العاهات بأسلوب رائق، وذكر أن هؤلاء

أصحاب العاهات من الأشراف الذين خلدت بهم الأرض، وقيل فيهم الأشعار، ويذكر طرفاً

منهم، وما قيل فيهم وكله افتخار بما أصيبوا به وبعضه تعبيراً.

ومن هؤلاء الذين ذكرهم: أبو طالب بن عبد المطلب عم نبي الله ﷺ ووالد

عليّ بن أبي طالب ~~عليه السلام~~، وكان قد عير من بعض نسائه بالعرج، فقال في ذلك شعراً:

قَالَتْ عَرَجْتُ فَقَدْ عَرَجْتُ فَمَا الَّذِي أَنْكَرْتُ مِنْ جَلْدِي وَحُسْنِ فَعَالِي

وَأَنَا ابْنُ بَجْدَتِهَا فِي صَابَتِهَا وَسَلِيلُ كُلِّ مُسْوَدِّ مَفْضَالِ

أَدْعُ الرَفَاجَةَ لَا أُرِيدُ نَمَاءَهَا كَيْمَا أَفِيدُ رَغَائِبَ الْأَمْوَالِ

وَأَكْفُ سَهْمِي عَنْ وَجْهِ جَمَةِ حَتَّى تَصِيبَ مِقَاتِلَ الْبُخَالِ

الرفاجة: التجارة والتمير.

وقال أبو طالب قولاً هو أجمل وأرجح من قول الجميع وذلك أنه قال وفسر:

أَنَا يَوْمَ السَّلَامِ مَكْفِيٌّ وَيَوْمَ الْحَرْبِ فَارِسُ
أَنَا لِلْخَمِيسَةِ أَنْفٌ حِينَ مَا لِلْخَمِيسِ عَاطِسُ

فزعم كم ترى أنه إذا كان في السَّلَامِ فهو لا يحتاجُ مع الكفاية إلى ابتذال نفسه في حوائجه، وإذا كان في الحربِ فهو فارسٌ يبلغ جميع إرادته⁽¹⁾.

ونموذج آخر ذكره الجاحظ للعميان، منهم بَشَارُ بْنُ بَرْدِ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو مَعَاذٍ، وَلَقَبُهُ الْمُرْعَثُ، وَكَانَ يَفْخَرُ بِالْعَمَى وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

إِذَا وَلِدَ الْمَوْلُودُ أَعْمَى وَجَدْتَهُ وَجَدَكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَحْوَلًا
عَمِيْتُ جَنْبًا وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَعْقِلًا
وَعَاضَ ضِيَاءِ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِدُ وَقَلْبُ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصْلًا⁽²⁾

ونموذج آخر في كتاب البرصان والعميان، يقول الجاحظ: وممن فخر بالبرص ثم من بني رزام المحجَّلُ، وكان بساقيه وَضَحَ، واسمه معاوية بن حزن بن موألة بن معاوية بن الحارث، وقد رأس وَسُمِّيَ المحجَّلُ على الكناية من البياض، والكناية من البرص، وهو الذي يقول:

يَا مِي لَا تَسْتَنْكِرِي تَحْوِيلِي وَوَضَحًا أَوْفَى عَلَى خَصِيلِي
فَإِنْ نَعَتَ الْفَرَسِ الرَّجِيلِ يَكْمُلُ بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ⁽³⁾

(1) البرصان والعميان للجاحظ ص 18 - ص 19.

(2) البرصان والعميان للجاحظ ص 20.

(3) البرصان والعميان للجاحظ ص 21.

وذكر الجاحظ في كتابه هذا، ومن العرجان، ثم من أصحاب الفتوح والزحوف،

موسى بن نصير⁽¹⁾.

وذكر الجاحظ أيضاً من العرجان: ثم من أهل الشرف والجمال المنعوت، عمر بن

عبد الحميد بن عبد الرحمن زيد بن الخطاب، وقد ولي اليمن لأبي العباس، وكان يدعَ الخروج لكثرة نظر الناس إليه⁽²⁾.

قلت: ونكتفي بهذا القدر مما حواه هذا الكتاب القيم، وقد أحسن الجاحظ في

وضعه وأبدع.



(1) البرصان والعميان للجاحظ ص 126.

(2) البرصان والعميان للجاحظ ص 127.

خامساً: رسائل الجاحظ:

قُلْتُ: وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ، جَمَعَهُ وَحَقَّقَهُ وَشَرَحَهُ الْعَلَامَةُ الْكَبِيرُ عَبْدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُ هَارُونُ أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذِهِ الرِّسَالُ تَعُدُّ بِحَقِّ رِسَالٍ بَلِيغَةٍ خَطَّهَا الْأَدِيبُ الْبَارِعُ وَالْمُتَفَنُّ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ.

وَبَلَغَ عَدَدُ هَذِهِ الرِّسَالِ جَمَلَةً نَحْوُ سِتٍّ وَأَرْبُعُونَ رِسَالَةً.

ففي الجزء الأول:

- 1- مناقب الترك.
- 2- المعاش والمعاد.
- 3- كتمان السر وحفظ اللسان.
- 4- فخر السودان على البيضان.
- 5- في الجد والهزل.
- 6- في نفي التشبيه وهي رسالة إلى الوزير أبي الوليد محمد بن أبي داود.
- 7- في كتاب الفتيا.
- 8- رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب.
- 9- فصل ما بين العداوة والحسد.
- 10- ضاعات القواد.

والجزء الثاني:

- 1- رسالة في النابتة وهي إلى الوزير ابن أبي داود.
- 2- كتاب الحجاب.
- 3- مفاخرة الجواري والغلمان.

4- كتاب القيان.

5- ذم أخلاق الكُتّاب.

6- كتاب البغال.

7- الحنين إلى الأوطان.

والجزء الثالث:

1- الحاسد والمحسود.

2- المعلمين.

3- التربيع والتدوير، وهي رسالة وجهها إلى أحمد بن عبد الوهاب.

4- في مدح النبيذ وصفة أصحابه.

5- طبقات المغنين.

6- النساء.

7- مناقب الترك، وهي رسالة وجهها إلى الفتح بن خاقان وزير المتوكل.

8- حجج النبوة.

9- خلق القرآن.

10- الرد على النصارى.

والجزء الرابع ويتألف من:

1- الرد على المشبهة.

2- مقالة العثمانية.

3- المسائل والجوابات في المعرفة.

4- المعاد والمعاش.

- 5- الجد والهزل.
 - 6- الوكلاء.
 - 7- الأوطان والبلدان.
 - 8- البلاغة والإيجاز.
 - 9- تفضيل البطن على الظهر.
 - 10- النبل والتنبل وذم الكبر.
 - 11- المودة والخلطة.
 - 12- استحقاق الإمامة.
 - 13- إستنجار الوعد.
 - 14- تفضيل النطق على الصمت.
 - 15- صناعة الكلام.
 - 16- مدح التجارة وذم عمل السلطان.
 - 17- الشارب والمشروب.
 - 18- استحقاق الأمانة.
 - 19- مقالة الزيدية والرافضة.
- قلت: وبعض هذه الرسائل كخلق القرآن حوت على نهج عقيدته الاعتزالية.



سادساً: كتاب الحيوان:

يروى عن الجاحظ أنه ما أن فرغ من تأليف كتابه «الحيوان» حتى قام وأهداه إلى محمد بن عبد الملك ابن الزيات، فأعطاه خمسة آلاف دينار.

وهذا الكتاب ألفه في أواخر حياته، والكتاب كما هو بين لمن يقرأه ملي بالاستطرادات، والتي اعتدناها من الجاحظ نفسه، وهي الصنعة الجاحظية، لكنك لا تمل أبداً فالجاحظ سلك هذا المسلك بذكاء فقد قال - في الجزء الخامس من كتابه الحيوان: «فان مللت الكتاب، واستثقلت القراءة، فأنت حينئذٍ أعذر، وما عندي لك من الحيلة إلا أن أصوره لك في أحسن صورة، وأقلبك منه في الفنون المختلفة، فأجعلك لا تخرج من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور، ولا تخرج من الحديث إلا إلى الشعر الصحيح، ولا تخرج من الشعر الصحيح الظريف إلا إلى المثل السائر الواقع و لا تخرج من المثل السائر الواقع إلا إلى القول في الفلسفة والغرائب التي صحتها التجربة، وأبرزها الامتحان، وكشف قناعها البرهان، والأعاجيب التي للنفوس بها كلف كثير، وللعقول الصحيحة إليها نزاع شديد.

ولذلك كتبته لك، وسقته إليك، واحتسبت الأجر فيك⁰ فانظر فيه نظر المنصف من الأكفاء والعلماء، أو نظر المسترشد من المتعلمين والأتباع، فإن وجدت الكتاب الذي كتبته لك يخالف ما وصفتُ فانقصني من نشاطك له على قدر ما نقصتك مما ينشطك إليه لقراءته، وإن أنت وجدتني - إذا صح عقلك وإنصافك - قد وفيتك بما ضمننت لك، فوجدت نشاطك بعد ذلك مدخولاً، وحدك مفلولاً، فأعلم أنا لم نؤت إلا من فسولتك⁽¹⁾. وفساد طبعك، ومن إثارك لما أضر بك⁽²⁾.

(1) الفسولة: النذالة والحقارة.
(2) كتاب الحيوان للجاحظ (5 / 222).

ويبين لنا الجاحظ في هذا الكتاب ما فيه من تقصير لبلوغ الإرادة فيه فقال: «وقد صادف هذا الكتاب في حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك: العلة الشديدة، والثانية: قلة الأعوان، والثالثة: طول الكتاب، والرابعة: أني لو تكلفت كتاباً في طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ثم كان من كتب العرض والجوهر، والطفرة والتوليد، والمداخلة والغرائز، لكان أسهل واقصر أياماً، وأسرع فراغاً، لأنني كنت لا أفرغ فيه إلى تليقظ الأشعار وتتبع الأمثال، واستخراج الآي من القرآن، الحجج من الرواية مع تعرف هذه الأمور في الكتب وتباعد ما بين الإشكال.

فإن وجدت فيه خلاً من اضطراب لفظ ومن سوء تأليف أو من تقطيع نظام، ومن وقوع شيء في غير موضعه، فلا تنكر بعد أن صورت عندك حالي التي ابتدأت عليها كتابي، ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه، إذا كنت لم التمس به إلا إفهامك مواقع الحجج لله، وتصارييف تدبيره»⁽¹⁾.

قلت: ويدافع الجاحظ عن كتابه «الحيوان» في أكثر من موضع، لربما أنه علم بمن عاب عليه الكتاب في أجزاءه الأولى، لذلك نراه يدافع عنه حيث يقول: «لرأيت أن جملة الكتاب، وإن كثر ورقه، أن ذلك ليس مما يمل ويعتد عليّ فيه بالإطالة، لأنه وإن كان كتاباً واحداً، فإنه كتب كثيرة، وكل مصحفٍ منها فهو أمٌّ على حدة، فإن أراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الأول حتى يهجم على الثاني، ولا الثاني حتى يهجم على الثالث، فهو أبداً مستفيد ومستطرف، وبعضه يكون جماماً لبعض، ولا يزال نشاطه زائداً.

ومتى خرج من آي القرآن صار إلى الأثر، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر، ثم يخرج من الخبر إلى شعر، ومن الشعر إلى نوادر ومن النوادر إلى حكم

عقلية، ومقاييس سداد، ثم لا يترك هذا الباب، ولعله أن يكون أثقل، والملاك إليه أسرع، حتى يفضي به إلى مزح وفكاهة، وإلى سخرٍ وخرافةٍ ولست أراه سخرًا إذا كنت إنما استعملت سيرة الحكماء وآداب العلماء ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام فخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكي عنهم، جعله مبسوطاً وزاد في الكلام، فأصوب العمل إتباع آثار العلماء، والاحتذاء على مثال القدماء، والأخذ بما عليه الجماعة»⁽¹⁾.

قلت: ومن يتصفح هذا الكتاب يجده قد حوى على كثير من الموضوعات ليس في أخبار الحيوان وأصنافه فحسب، بل في فنون شتى، من أشعار، وأخبار، ونوادر، وحكايات، طغت عليها الصنعة الجاحظية. ذكر مما حواه كتاب الحيوان:

قلت: بدأ الجاحظ كتابه «الحيوان» في الجزء الأول على خطبة، ثم وضع قائمة لبعض مؤلفاته، والتي عُيِبَ على الجاحظ فيها، ثم دافع عن كتابه الحيوان، ثم تطرق لموضوع تقسيم العالم، ثم أقسام الحيوان، وأقسام الطير، ثم أقسام البيان، ثم تطرق مرة أخرى للدفاع عن كتابه الحيوان، ومما حوى عليه الكتاب، وامتداحه بكلام بليغ للكتب، ثم أخذ يتكلم في موضوع الخط والقلم وضروب الخط، وراح أيضاً في موضوع تاريخ الشعر قبل الإسلام، وحدثة الشعر، وفضيلة الشعر وإنها مقصورة على العرب وحدهم.

ثم تطرق لموضوع ترجمة الكتب، والصفات الواجب توافرها في الترجمان قال: «أن الترجمان لا يؤدي أبداً ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق

مذاهبه، ودقائق إختصارته، وخفيات حدوده، ولا يقدرُ أن يوفيهها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل، ويجب على الجري، وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقها وصدقها، إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصارييف ألفاظها وتأويلاتٍ مخرجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه».

«ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه، في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون فيها سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليها»⁽¹⁾.

ثم تكلم الجاحظ في مفاصد الترجمة، ثم في ترغيب الكتب، ثم الشروط الواجب توافرها في الكاتب حيث قال: وينبغي لمن كتب كتاباً أن لا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء، وكلهم عالم بالأمور، وكلهم متفرغ له، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً، ولا يرضى بالرأي الفطير، فإن لابتداء الكتاب فتنة وعُجباً، فإذا سكنت الطبيعة، وهدأت الحركة، وتراجعت الأخلاط، وعادت النفس وافرة، أعاد النظر فيه، فتوقف عن فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب، ويتفهم معنى قول الشاعر:

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرَّ الْقَوْمَ خَلَوْتُهُ حَتَّى يَلْجَ بِهِمْ عِيٌّ وَإِكْثَارُ⁽²⁾

ثم تطرق لموضوعات شتى في أخبار الحيوان، وما جاء في ذلك من نوادر وأشعار.

(1) الحيوان (1 / 51).

(2) الحيوان (1 / 57).

كذلك في الجزء الثاني من الكتاب، والجزء الثالث.

أما الجزء الرابع، فقد حوى على موضوعات متفرقة من تلك الموضوعات التي ذكرها، بدءاً في أوله بذكر الذرة والنمل، ثم ذكر النمل في القرآن الكريم وأحاديث في النمل، وأشعار في النمل، ثم بعد ذلك تطرق لذكر القروذ والخنزير وعلة تحريم أكل الخنزير، وورد أشعار في القرد والخنزير.

ثم تطرق لموضوع الحيات، وأعاجيب فيها، ثم ذكر نوادر وأحاديث تتعلق بالحيات. وذكر أيضاً شعراً للراوية خلف الأحمر في الحيات، ثم تطرق لموضوع الصم من الحيوان وذكر منها الحيات، والنعام، وذكر أشعار قيلت في ذلك.

ثم تطرق لأحاديث الصوفية والنصارى وسياحة الرهبان، والقول في النيران وأقسامها، ونيران العرب في الجاهلية، ونيران المجوس والعجم، هذا ما كان في الجزء الرابع في كتاب الحيوان وأهم ما جاء فيه.

وفي الجزء الخامس: الكلام على النار، وجوهر النيران، ثم مباحث في البيوسة والرطوبة والبرودة والحرارة. وتمازج الألوان وتبدلها، واختلاف النيران وما فيها من ألوان.

ثم ذكر زرادشت صاحب المجوس، ثم معارضة أهل المجوس والرد عليهم.

ثم ورد أشعاراً قيلت في البرد والجمد والحر، وجملة من القول في الماء، وتعظيم شأن النار، ثم ذكر جمرات العرب، وهي عبس وضبة ونمير، يقال لكل

واحد فيها جمرة، ثم ورد أشعار متفرقة وأقوال وآيات حول الماء، وتطرق لموضوع حكمة الخالق تبارك وتعالى في بعض الحيوانات.

ثم بعد ذلك أخذ يدافع عن موضوعات كتابه الحيوان.

ثم أخذ في كلام مديح النصارى واليهود والمجوس، وما قيل في ذلك من أشعار، ثم باب من أراد أن يمدح فهجا.

ثم ذكر قصيدة للكميت في مدحه للنبي ﷺ.

ومعلقة الحارث بن حلزة، وأقوال وأشعار متنوعة.

ثم تطرق في الحديث عن رئيسه النظام، وأنه أضيّق الناس صدرًا بالسّرّ، ثم موضوع متعلق بدم الأمانى، ثم القول في العصفور، وذكر أجناس الطير التي تألف دور الناس. وأجناس المخلوقات التي تعايش الناس، وأورد فضائل العصفور، ثم أورد أشعار في مشي بعض الحيوانات.

ثم القول في الفأر والعقارب وذكر ما قيل فيهما من الشعر، من ذلك أورد شعر لأبي الشمقمق في الفأر.

ثم ذكر التفاضل بين الماعز والغنم، وأورد أشعاراً في ذلك.

ثم القول في الضفادع، والقول في الجراد وطيب لحمه.

والقول في القطا وأشعار قيلت فيها.

وختم الجزء الخامس بأخبار ونوادر كعاداته وشعر لأبي الأسود الدؤلي.

والجزء السادس: بين الخطوط ومرافقها ثم عرض بعد ذلك عرضاً مجمل لما أشتمل عليه كتابه الحيوان.

ثم تطرق بعد ذلك لعجائب بعض الحيوانات، والقول في الضب، والكلاب، ثم القول في الجن والعفاريت.

وأورد آيات قرآنية وأشعار في ذلك، وذكر ما للجن من أصناف، وما لهم من أشعار وأساطير وأخبار ونوادر.

ثم تطرق لموضوع الوضع في الشعر الجاهلي، ثم القول في الثعلب، والوبر والأرانب، والضبع، والقنفذ، وما جاء فيها من أشعار ونوادر، والقول في الفهد وما جاء فيه من أخبار وأشعار.

الجزء السابع: القول في إحساس أجناس الحيوان، ثم تطرق كعادته للدفاع عن كتابه الحيوان، والقول في الفيل وأعاجيب خلقه، وذكر مزاعم الهند في الفيل، ثم ذكر إعجاب الجاحظ في - إذن الفيل، ثم القول في الجاموس والتمساح، والقول في مآكل بعض الحيوانات، وذكر أشعار في الفيل، ثم ذكر - فيلة كسرى والقول في معائب الفيل.

ثم تطرق لموضوع الحياة الدينية، والاجتماعية في الجاهلية، وختم كتابه بشعر للمقوم الضبي.

قلت: من الملاحظ أنَّ الموضوعات التي ذكرها الجاحظ أنها ليست لذكر الحيوان بذاته، وإنما الكتاب شمل فنون شتى، أبدع الجاحظ في ذكرها، وإن كان في الكتاب من المآخذ لكننا في كل الأحوال نجد الفوائد والأشعار التي وضعه الجاحظ، مما قد يعفيه عن تلك المآخذ، وما أورد من الأخبار، والتي لولا الجاحظ وكتابه هذا، ما وجدت في مؤلفات أخرى. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

أخبار الجاحظ

مع الوزير ابن الزيات، والقاضي بن أبي داود، وابنه، والفتح بن خاقان، وأبي الفرج بن نجاح، وابن المدبر:

قلت: ما إن ألف الجاحظ كتابه «الحيوان» وفرغ منه، قدمه للوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات، فأعطاه خمسة آلاف دينار، وكان محمد هذا محباً للعلم والأدب والشعر، فأصبح الجاحظ ملازماً له حظياً عنده.

وكان الجاحظ نائياً عن ابن أبي داود، وذلك لعداوة بين ابن الزيات وابن أبي داود.
رسالة للجاحظ لابن الزيات:

وللجاحظ رسالة وجهها لابن الزيات قال فيها: «لا والله، عالج الناس داءً قط أدوى من الغيظ، ولا رأيتُ شيئاً هو أنفذ من شماتة الأعداء، ولا أعلم باباً أجمع لخصال المكروه من الذل، ولكن المظلوم مادام يجد من يرجوه، والمبتلى ما دام يجد من يرثي له، فهو على سبب دركٍ وإن تطاولت به الأيام، فكم من كربةٍ فادحةٍ، وضيقةٍ مصمتةٍ قد فتحت أقفالها وفككت أغلالها، ومهما قصرتُ فيه فلم أقصر في المعرفة بفضلك، وفي حسن النية بيني وبينك، لا مشئت الهوى، ولا مقسم الأمل على تقصير قد احتملته، وتفريط قد اغترفته، ولعل ذلك أن يكون من ديون الإدلال وجرائم الإغفال، ومهما كان من ذلك فلن أجمع بين

الإساءة والإنكار، وإن كنت كما تصف من التقصير، وكما تعرف من التفريط، فإني من شاكري أهل هذا الزمان، وحسنُ الحال متوسطُ المذهب، وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك من المنعمين فوق مرتبتي في الشاكرين، وقد كانت عليّ بك نعمةٌ أذاقتني طعم العز، وعودتني روح الكفاية، ولوت هذا الدهرَ وجهْدُه، ولما مسخ الله الإنسانَ قرداً وخنزيراً، ترك فيهما مشابةً من الإنسان، ولما مسخ زماننا، لم يترك فيه مشابةً من الأزمان»⁽¹⁾.
ذكر ما وقع بين الجاحظ وابن الزيات:

قال الجاحظ: تشاغلْتُ مع الحسن بن وهب أخي سليمان بن وهب بشرب النبيذ أياماً، فطلبني محمد بن عبد الملك - ابن الزيات - لمؤانسته، فأخبر باتصال شغلي مع الحسن بن وهب، فتنكر لي، وتلون عليّ، فكتبت إليه رقعة فيها: «أعاذك الله من سوء الغضب، وعصمك من سرف الهوى، وصرف ما أعارك من القوة إلى حبّ الإنصاف، ورجح في قلبك إيثار الأناة فقد خِفْتُ - أيدك الله - أن أكون عندك من المنسوبين إلى نزق⁽²⁾ السفهاء، ومجانبة سبل الحكماء، وبعد:

فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:


وَإِنْ أَمْرًا أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

وقال الآخر:

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموي (16 / 77).

(2) النزق: الخفة والطيش.

فإن كنت اجتأت عليك - أصلحك الله - فلم أجتري إلا لأن دوام تغافلِكَ عني شبيه بالإهمال، الذي يورث الإغفال، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة، ولذلك قال عينية بن حصن بن حذيفة لعثمان -  - : عمر كان خيراً لي منك، أرهمني فاتقاني، وأعطاني فأغواني، فإن كنت لا تهب عقابي - أيدك الله لخدمةٍ فهبه لأياديك عندي، فإن النعمة تشفع في النعمة، ولا تفعل لذلك فعد إلى حسن العادة، وإلا فأفعل ذلك لحسن الأحدث، وإلا فأفعل ما أنت أهله من العفو دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد، وتتجافى عن عقاب المصّر، حتى إذا صرت إلى من هفوته ذكر، وذنبه نسيان، ومن لا يعرف الشكر إلا لك، والإنعام إلا منك هجمت عليه بالعقوبة، وأعلم - أيدك الله - أن شين غضبك عليّ كزين صفحك عني، وأن موت ذكري مع انقطاع سببي منك كحياة ذكرك مع اتصال سببي بك، وأعلم أن لك فطنة عليم، وغفلة كريم والسلام»⁽¹⁾.

وقال الجاحظ في ابن الزيات شعر قال فيه:

ففل منهم شبة العدم	بدا حين أثرى لإخوانه
فبادر بالعرف قبل الندم ⁽²⁾	وأبصر كيف انتقال الزمان

خبر الجاحظ وابن الزيات على مائدة طعام:

قال الجاحظ: كنت يوماً على مائدة محمد بن عبد الملك، فقدمت فالوذجة، فأوما بأن يجعل مارق منها على الجام مما يليني تولعاً بي، فتناولته، وظهر بياض

(1) زهرا الآداب وثمر الألباب (203/2)

(2) زهرا الآداب وثمر الألباب (232 / 2).

إلجام بين يدي، قال: يا أبا عثمان، قد تقشعت سماؤك قبل سماء غيرك، فقلت: أصلحك الله، لان غيمها كان رقيقاً⁽¹⁾.

رسالة في الجد والهزل موجهة إلى ابن الزيات:

وهذه رسالة بديعة بليغة، كتبها الجاحظ، ووجهها إلى محمد بن عبد الملك ابن الزيات، وسبب ذلك أن ابن الزيات عاب على الجاحظ رسالته في «الزرع و النخل» وكان قد قدمها إلى إبراهيم بن العباس الصولي فمنحه خمسة آلاف دينار، وهذه الرسالة على طولها، فإنها لا تمل من يقرأها، قال فيها الجاحظ: «جعلت فداك، ليس من أجل اختياري النخل على الزرع أقصيتني، ولا على ميل إلى الصدقة دون إعطائي الخراج، عاقبتني ولا لبغضي دفع الإتاوة والرضا بالجزية حرمتني. ولست أدري لم كرهت قربي وهويت بعدي واستثقلت روحي ونفسي، واستطلت عمري وأيام مقامي. ولم سيرتك سيئتي ومصيبتي وساءتك حسنتي وسلامتي، حتى ساءك تجملي بقدر ما سرّك جزعي وتضجري، وحتى تمنيت أن أخطئ عليك فتجعل خطئ حجة لك في إبعادي، وكرهت صوابي فيك خوفاً من أن تجعله ذريعة لك إلى تقريبي فإن كان ذلك هو الذي أغضبك، وكان هو السبب لموجدتك فليس - جعلت فداك هذا الحق في طبقة هذا الذنب، ولا هذه المطالبة من شكل هذه الجريمة. ولو كان إذ لم يكن في وزنه وقع قريباً، وإذ لم يكن عدله وقع مشبهاً كان أهون في موضع الضرر وأسهل في مخرج السماع. فأني شيء بقيت للعدو المكاشف والمنافق الملائف، وللمعتمد المصّر وللقادر المدلل. ومن عاقب على الصغير بعقوبة الكبير، وعلى الهفوة بعقوبة الإصرار، وعلى الخطأ

(1) خاص الخاص للثعالبي ص 58.

بعقوبة العمد، وعلى معصية المستتر بعقوبة معصية المعلن، ومن لم يفرق بين الأعالي والأسافل، وبين الأقاصي والأداني، عاقب على الزنى، بعقوبة السرقة، وعلى القتل، بعقوبة القذف. ومَنْ خرج إلى ذلك في باب العقاب خرج إلى مثله في باب الثواب. ومن خرج الأوزان وخالف جميع التعديل، كان بغاية العقاب أحقَّ، وبه أولى. والدليل على شدة غيظك وغلجان صدرك قوة حركتك وإبطاء فترتك، وبعد الغاية في احتيالك، ومن البرهان على ثبات الغضب، وعلى كظم الذنب تمكّن الحقد ورسوخ الغيظ، وبعد الوثبة وشدة الصولة. وهذا البرهان صحيح ما صحَّ النظم و وقام التعديل واستوت الأسباب، ولا أعلم ناراً أبلغ في إحراق أهلها من نار الغيظ، ولا حركة أنقص لقوة الأبدان من طلب الطوائل مع قلة الهدوء، والجهل بمنافع الجمام، وإعطاء الحالات أقسامها من التدبير. ولا أعلم تجارة أكثر خسراناً ولا أخف ميزاناً من عداوة العاقل العام، وإطلاق لسان الجليس المداخل، والشعار دون الدثار والخاص دون العام. والطالب - جعلت فداك - يعرض ظَفَرٍ ما لم يخرج المطلوب، وإليه الخيار ما لم تقع المنازلة، ومن الحزم إلّا تخرج إلى العدو إلا ومعك من القوى ما يغمر النضلة، التي ينتجها له الإخراج، ولا بد أيضاً من حزم يحذرك مصارع البغي، ويخوفك ناصر المطلوب.

وبعد - أبقاك الله - فأنت على يقين من موضع ألم الغيظ من نفسك والغيظ عذاب، ولربما زاد التشفي في الغيظ ولم ينقص منه، ولست على يقين من نفوذ سهمك في صيدك، كما أيقنتُ بموضع الغيظ من صدرك، والحازم لا يلتمس شفاء غيظه باجتلاب ضعفه ولا يطفئ نار غضبه تأخر عقوبة من أغضبه ولا يسدد سهمه إلّا والغرض ممكن، والغاية قريبة ولا يهرب إلّا والمهرب معجزة.

إن سلطان الغيظ غشوم، وإن حكم الغضب جائر، واضعف ما يكون العزم عن التصرف أضعف ما يكون الحزم. والغضب في طباع شيطان، والهوى يتصور في صورة امرأة، فلا يبصر مساقط العيب ومواقع الشرف إلا كل معتدل الطباع ومعتدل الأخلاق مستوي الأسباب. والله لقد كنت أكره لك سرف الرضا مخافة جواذبه إلا سرف الهوى. فما ظنك بسرف الغضب، وبغلبة الغيظ، ولا سيما ممن قد تعود إهمال النفس ولم يعودها الصبر، ولم يعرفها موضع الحظ في تجرح مرارة العفو، وأن المراد من الأمور عواقبها لا عواجلها. وقد كنت أشفق عليك من إفراط السرور فما ظنك بإفراط الغيظ، وقد قال بعض الناس: لا خير في طول الراحة وإذا كان يورث الغفلة، ولا الكفاية وإذا كان يؤدي إلى المعجزة، ولا في كثرة الغنى إذا كان يُخرج إلى البلدة.

جُعلت فداك، وإن داء الحزن وإن كان قاتلاً فإنه داء مماطل، وسقمه سقم مُطاول، ومعه من التمهّل بقدر قسطه من إناة المرّة السوداء وداء الغيظ سفيه طياش، وعجول فحاش، يُعجل عن التوبة، ويقطع دون الوصية، وقعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرّة الحمراء، والعجول يخطئ وإن ظفر فكيف به إذا أخفق، على إن إخفاقه يزيد في حقيقة خطئه كما أن ظفره لا ينتقص من مقدار زلله. وأنت روح كما أنت وحشي من قرنك إلى قدمك. وعمل الآفة في الدقاق والعتاق أسرع، وحدها عن الغلاظ الجفاة أكل، فلذلك أشد جزعي لك من سلطان الغيظ وغلبته»⁽¹⁾.

(1) رسالة في الجد والهزل للجاحظ ص 232.

قلت: هذه الرسالة نظير نص مقدمة كتابه الحيوان والذي إهداءه لابن الزيات، وقد تبين من ذلك أن ابن الزيات لم يعيب كتاب «الزعر والنخل» وإنما عاب على الجاحظ أكثر من كتاب، وقد ذكر ذلك الجاحظ في مقدمة كتابه «الحيوان».

ذكر مقتل ابن الزيات والقبض على الجاحظ:

قلت: كان الجاحظ كما علمنا نديماً لابن الزيات فلما قتل ابن الزيات، قبض على الجاحظ وبعث به إلى القاضي أحمد بن داود.

قال أبو عبد الله المزباني، حدث إسحاق الموصلي وأبو العيلاء، قال: كنت عند أحمد بن أبي داود بعد قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ مقيداً، وكان من أصحاب ابن الزيات وفي ناحيته، فلما نظر إليه قال: والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة، كفوراً للصنعة و معداً للمساوئ وما فتني باستصلاحي لك، ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك، ورداءة داخلتك وسوء اختيارك، وتغالب طبعك، فقال له الجاحظ: خفض عليك - أيديك الله - فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسيء وتحسن، أحسن عنك من أن أحسن فتسيء، وأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل من الانتقام مني.

فقال له ابن أبي داود: قبحك الله، وما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وقد جعلت ثيابك أمام قلبك، ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: 102].

قال: تلاوتها تأويلها - أعز الله القاضي.

فقال: جيئوا بحداد.

فقال: أعز الله القاضي - ليفك عني أو ليزيدني؟.

فقال: بل ليفك عنك. فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلاً، فلطمه الجاحظ وقال: أَعْمَلْ عَمَلٌ شَهْرٍ في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فَإِنَّ الضرر على ساقِي، وليس بجزع ولا ساجة⁽¹⁾ فضحك بن أبي داود وأهل المجلس منه. وقال ابن أبي داود لمحمد بن منصور، وكان حاضراً: أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه.

ذكر إكرام بن أبي داود الجاحظ:

ثم قال يا غلام: صر به إلى الحمام وأمط عنه الأذى، و وأحمل إليه تخت ثياب طويلة، وخفاً، فلبس ذلك ثم أتاه فتصدر في مجلسه ثم أقبل عليه وقال: هات الآن حديثك يا أبا عثمان⁽²⁾.

قلت: والقاضي ابن أبي داود هو من المعتزلة، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، اتصل في أول أمره بالمأمون، ثم قاضي المعتصم ثم الواثق، وتوفي في أول خلافة المتوكل سنة أربعين ومائتين.

وكان لإكرامه الجاحظ فلأن مذهبهما واحد لا خلاف فيه، ولذلك قربه، ثم أن الجاحظ اهدأ له كتابه المشهور «البيان والتبيين» فمنحه ابن أبي داود خمسة آلاف دينار.

وفي رواية أخرى، ذكرها القاضي أبو علي التنوخي في كتابه: «الفرج بعد الشدة» قال: وجدت في بعض الكتب: أن الجاحظ أنفذ إلى أحمد ابن داود بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مقيداً في قميص رث فأوقف بين يديه ليأمر

(1) الساج: هو الخشب، والساجة: الخشبة المنحوتة.

(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي (79 / 16).

بأمره فقال له ابن أبي داود: والله يا عمرو ما عملتك إلا سباً للنعمة، جاحداً للصنعة، معدداً للمثالب، مخفياً للمناقب وإن الأيام لا تصلح مثلك. لفساد طويتك، وسوء اختيارك. قال الجاحظ: خفض عليك، فوالله لأن تكون المنة لك خير في إن تكون لي عليك، ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحدثه عنك، ولأن تعفو في حال قدرتك أجمل بك من إن تنتقم. فقال لي ابن داود: ما علمتك إلا كثير رونق اللسان، قد جعلت ثيابك أمام قلبك، ثم اصطفيت فيه النفاق، أعزب قبحك الله، فأنهض في قيوده ثم قال: يا غلام: القه وخذ قيوده وصر به إلى الحمام، وأحمل إليه خُلة يلبسها، وأحمله إلى منزل يأوي به بفرش وفراش وآلة وقماش، ويزاح فيه علله، وادفع إليه عشرة آلاف درهم لنفقتة إلى أن يصح من علته، ففعل ذلك، فلما كان من الغد رأى الجاحظ متصديراً في مجلس ابن أبي داود، وعليه خُلة من ثيابه، وطويلة من قلاسنه، وهو مقبل عليه بوجهه يقول: هات يا أبا عثمان⁽¹⁾.

قول الجاحظ حين عوتب في عدم نصره نديمه ابن الزيات:

وقيل للجاحظ: لِمَ خذلت ابن الزيات، وهربت منه لما أصابته المحنة؟ فقال: خفت أن يقال: ثاني اثنين إذ هما في التنور! وذلك أن ابن الزيات عوقب في تنور من حديد حتى مات⁽²⁾.

وفي رواية أخرى: قال المرزباني: وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي داود، للعداوة بين أحمد ومحمد،

(1) الفرغ بعد الشدة لأبي عليّ التنوخي (1 / 82 - 83).

(2) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (565/1).

ولما قبض على محمد هرب الجاحظ ف قيل له: لِمَ هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين
إذ هما في التنور، يريد ما صُنِعَ بِمُحَمَّدٍ، وإِدْخَالِهِ تنور حديدٍ فيه مسامير، كان هو صنعه
ليعذب الناس فيه، فعُذِبَ هو فيه حتى مات، يعني محمد بن الزيات⁽¹⁾.
شعر للجاحظ في ابن أبي داود:

قال ياقوت الحموي رحمه الله تعالى في «معجم الأدباء»: ومن شعر الجاحظ في

ابن أبي داود:

وَعَوِيصٍ مِنَ الْأُمُورِ بِهِمِ	غَامِضُ الشَّخْصِ مُظْلَمٌ مُسْتَوْرٌ
قَدْ تَسَنَّمْتُ مَا تَوَعَّرَ مِنْهُ	بَلَسَانٍ يَزِينُهُ التَّحْيِيرُ
مِثْلَ وَشِي الْبُرُودِ هِلَالَةُ النَّسْجِ	وَعَنَدَ الْحِجَااجِ دُرٌّ نَثِيرٌ
حَسَنُ الصَّمْتِ وَالْمِقَاطِعِ إِمَّا	نَصَتِ الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ لَحْظَةٍ تَوْرَثَ الْيُسْرُ	وَعِرْضُ مُهْذَبٍ مَوْفُورٌ

وكتب الجاحظ إلى أحمد بن أبي داود:

لَا تَرَانِي وَإِنْ تَطَاوَلْتُ عَمَدًا	بَيْنَ صَفِيْهِمْ وَأَنْتَ تَسِيرُ
كُلَّهُمْ فَاضِلٌ عَلَيَّ بِمَالٍ	وَلَسَانِي يَزِينُهُ التَّحْيِيرُ
فَإِذَا ضَمَّنَا الْحَدِيثُ وَبَيْتُ	وَكَأَنِّي عَلَى الْجَمِيعِ أَمِيرُ
رُبَّ خَصِمٍ أَرَقَ مِنْ كَلِّ رُوحٍ	وَلَفَرِطِ الذِّكَااءِ يَكَادُ يَطِيرُ

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموي (16 / 76).

فَإِذَا رَامَ غَايَتِي فَهُوَ كَابٍ وَعَلَى الْبُعْدِ كَوَّكِبٌ مَبْهُورٌ⁽¹⁾

وَحَدَّثَ أَبُو الْعِينَاءِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: أَتَانِي جُمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدْعِي أَنَّهُ مَدْحَنِي بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَأَجْزِيهِ عَلَيْهَا:

بَدَا حَينَ أَثَرِي بِإِخْوَانِهِ	فَقُلَّ عَنْهُمْ شَيْبَةُ الْعَدَمِ
وَذَكَرَهُ الدَّهْرُ صَرَفُ الزَّمَانِ	فَبَادَرَ قَبْلَ انْتِقَالِ النِّعَمِ
فَتَى خَصَّهُ اللَّهُ بِالْمُكْرَمَاتِ	فَمَازَجَ مِنْهُ الْحَيَاءَ بِالْكَرَمِ
وَلَا يَنْكَثُ الْأَرْضُ عِنْدَ السُّؤَالِ	لَيَقْطَعُ زُورَهُ عَنْ نَعَمِ

وَيُقَالُ: أَنَّ الْجَاحِظَ مَدَحَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَاوُدَ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ رَبَاحٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْجَهْمِ⁽²⁾.

قُلْتُ: وَلِلْجَاحِظِ رِسَالَةٌ عَنَوَانُهَا «الْمَعَاشُ وَالْمَعَادُ، أَوْ الْأَخْلَاقُ الْمَحْمُودَةُ وَالْمَذْمُومَةُ» اُخْتَلَفَ فِيْمَنْ وَجَّهَهَا الْجَاحِظُ، قِيلَ لِابْنِ الزِّيَّاتِ، وَقِيلَ لِابْنِ أَبِي دَاوُدَ.

وَرَجَّحَ الْعَلَامَةُ الْكَبِيرُ وَالْمُحَقِّقُ الْخَبِيرُ «عَبْدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُ هَارُونَ» رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَحْقِيقِهِ «رِسَائِلَ الْجَاحِظِ» بِأَنَّ الرِّسَالَةَ السَّالِفَةَ الذِّكْرُ هِيَ مُوجَّهَةٌ إِلَى أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ، وَهُوَ قَاضِيًا كَأَبِيهِ أَحْمَدَ.

قَالَ: «وَالرَّاجِحُ أَنَّ الرِّسَالَةَ كَتَبَهَا الْجَاحِظُ إِلَى أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ، لَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، لِأَنَّهُ يَذْكَرُ فِي صَدْرِهَا أَنَّهُ عَرَفَ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ هَذِهِ

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموي (16 / 81).

(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي (16 / 81).

الرسالة أيام الحداثة ولا ينطبق ذلك على محمد بن عبد الملك الزيات فقد كانت حياته بين سنتي 173 و 233 ولم تُعرف صلة الجاحظ به إلا في أيام سلطانه»⁽¹⁾

قال الجاحظ في مقدمة رسالته هذه: «حفظك الله وأمتع بك، أما بعد، فإن جماعات أهل الحكمة، قالوا: واجب على كل حكيم أن يُحسن الارتياح لموضع البُغية، وأن يبين أسباب الأمور ويمهد لعواقبها، فإنما حُمِدَتِ العُلَماءُ بِحُسن التثبِت في أوائل الأمور، واستشفافهم بعقولهم، ما تجيء به العواقب، فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في استدبارها، وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم. فأما معرفة الأمور عند تكشفها وما يظهر من خفياتها، فذاك أمر يعتدل فيه الفاضل والمفضول، والعالمون والجاهلون. وإني عرفتكَ - أكرمكَ الله - في أيام الحداثة، وحيثُ سلطان اللهو المخلق للأعراض أغلب على نظرائك، وُسُكر الشباب، والجدة المتحيفين للدين والمرورة مستول على لذاتك فاخترت أنت وهم ففقتهم ببسطة المقدرة وحميا الحداثة، وطول الجدة، مع ما تقدمتهم فيه من الوسامة في الصورة، والجمال في الهيئة، وهذه كلها أسباب تكاد أن توجب الانقياد للهوى، ولجُج من المهالك لا يَسَلُم منها إلا المنقطع القرين في صحة الفطرة، وكمال العقل. فاستعبدتهم الشهوات حتى أعطوها أزمة أدياتهم، وسلطوها على مروءاتهم، وأباحوها أعراضهم، فألت بأكثرهم الحال إلى ذُلّ العدم وفقد عز الغنى في العاجل، والندامة الطويلة والحسرة في الآجل. وخرجت نسيج وحدك، أوحدياً في عصرك، حكمت وكيل الله عندك - وهو عقلك - على هواك، وألقيت إليه أزمة أمرك، فسلك بك طريق السلامة،

وأسلمك إلى العافية المحمودة، وبلغ بك من نيل اللذات النعم، أكثر مما بلغوا، ونال بك من الشهوات أكثر مما نالوا، وصرفك من صنوف النعم، أكثر مما تصرفوا، وربط عليك من نعم الله التي خولك ما أطلقه من أيديهم إيثار اللهو وتسليطهم الهوى على أنفسهم، فخاض بهم سبل تلك اللجج، واستنقذك من تلك المعاطب، فأخرجك سليم الدين، وافر المروءة نقي العرض، كثير الثراء، بين الجدة وذلك سبيل من كان ميله إلى الله تعالى أكثر من ميله إلى هواه. فلم أزل أبقاك الله في أحوالك تلك كلها بفضيلتك عارفاً، ولك بنعم الله عندك غابطاً، أرى ظواهر أمورك المحمودة فتدعوني إلى الإنقطاع إليك، وأسأل عن بواطن أحوالك فتزيدني رغبةً في الاتصال بك ارتياداً مني لموضع الخيرة في الأخوة، والتماساً لإصابة الاصطفاء في المودة، وتخييراً لمستودع الرجاء في النائبة»⁽¹⁾.

ومما جاء أيضاً في مقدمة رسالته قوله: «فلما وجبت عليّ الحجة بشركك، وقطع عذري في مكافأتك، اعترفت بالتقصير عن تقصي ذلك، إلّا إني بسطتُ لساني بتقريظك، ونشر محاسنك موصول ذلك في السامعين بالاعتراف بالعجز عن إحصائها»⁽²⁾.

ومما جاء في مقدمة رسالته قوله: «ثم رأيت أن قد بقي عليّ أمر من الأمور يمكنني فيه برك، وهو عندي عتيد، وأنت عنه غير مستغن، والمنفعة لك فيه عظيمة عاجلة وآجلة إن شاء الله.

ولم أزل - أبقاك الله - بالموضع الذي قد عرفت، من جمع الكتب ودراستها والنظر فيها، ومعلوم أن طول دراستها إنما هو تصفح عقول العالمين وكتب أهل

(1) رسائل الجاحظ (1 / 91 - 93).

(2) رسائل الجاحظ (1 / 95).

الملل، فرأيت أن أجمع لك كتاباً من الأدب، جامعاً لعلم كثير من، المعاد والمعاش، أصف لك فيه علل الأشياء، وأخبرك بأسبابها، وما اتفقت عليه محاسن الأمم.

وعلمت أن ذلك من أعظم ما أبرك به، وأرجح ما أتقرب به إليك، وكان الذي حداني على ذلك ما رأيت الله قسم لك من الفهم والعقل، وركب فيك من الطبع الكريم»⁽¹⁾.

كذلك كتب الجاحظ رسالته: «نفي التشبيه» إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود، فقال في مقدمة هذه الرسالة: «أطال الله بقاءك وحفظك، وأتم نعمته عليك، وكرامته لك، قد عرفت - أكرمك الله - ما كان الناس فيه من القول بالتشبيه، والتعاون عليه والمعاداة فيه، وما كان في ذلك من الإثم الكبير، والفرية الفاحشة، وما كان لأهله من الجماعات الكثيرة، والقوة الظاهرة، والسلطان المكين، مع تقليد العوام، وميل السفلة والطغام»⁽²⁾.

قلت: وقبل ذلك كان الجاحظ قد بعث ببعض رسائله إلى القاضي أحمد بن أبي داود، كرسالة «الفتيا» وذلك أن الجاحظ يحب من هؤلاء أن يحظى بالتقدير لديهم، وهذا دأبه حتى مع وزير المتوكل، الفتح بن خاقان، وسوف نوضح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى. وعلى كل حال قد حظي الجاحظ عند أحمد بن أبي داود، ثم من بعده ابنه محمد.

(1) رسائل الجاحظ (1 / 95 - 96).

(2) رسائل الجاحظ (1 / 283).

ذكر الجاحظ والفتح بن خاقان:

قلت: والفتح بن خاقان وزير المتوكل وكان قد قتل بعد سنة سبع وأربعين ومائتين، والجاحظ حظي بتقدير كبير لدى الوزير الفتح بن خاقان، وللجاحظ رسالة بديعة كتبها ثم وجهها للفتح، وعنوان الرسالة «مناقب الترك» قال الجاحظ في مقدمته: «وفقك الله لرشدك، وأعان على شكرك، وأصلحك وأصلح على يدك، وجعلنا وإياك ممن يقول بالحق ويعمل به، ويؤثره ويحتمل ما فيه مما قد يصد عنه، ولا يكون حظه منه الوصف له، والمعرفة به، دون الحث عليه، والانقطاع إليه، وكشف القناع فيه وإيصاله إلى أهله، والصبر على المحافظة في أن لا يصل إلى غيرهم، والتثبت في تحقيقه لديهم، فإن الله تعالى لم يعلم الناس ليكونوا عاملين دون أن يكونوا عاملين، وإنما علمهم ليعملوا وبين لهم ليتقوا التورط في وسط الخوف، والوقوع في المضار، والتوسط في المهالك، فلذلك طلب الناس التبين، ولحب السلامة من الهلكة، والرغبة في المنفعة احتملوا ثقل التعلم، وتعجلوا مكروه ثقل المعاناة، ولقلة العاملين وكثرة الواصفين، قال الأولون: العارفون أكثر من الواصفين، والواصفون أكثر من العاملين»⁽¹⁾.

رسالة من الفتح بن خاقان إلى الجاحظ:

قلت: أعجب الفتح بالجاحظ إعجاباً شديداً، ولذلك أدناه وقربه وأكرمه وكان الفتح بن خاقان قد كتب كتاباً للجاحظ قال فيه: «إن أمير المؤمنين يجِدُ بِكَ، ويهش عند ذكرك، ولولا عظمتك، في نفسه لعلمك ومعرفتك، لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه وولغصبك رأيك وتديرك فيما أنت مشغول به، ومتوفر

(1) رسائل الجاحظ (163/3).

عليه، وقد كان ألقى إليّ من هذا عنوانه فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك فاعرف لي هذه الحال، واعتقد هذه المنة على كتاب الرد على النصارى، وأفرغ منه وعجل به إليّ، وكن من جدا به على نفسه، تنال مشاهرتك وقد استطلقتة لما فضى واستست لك لسنة كاملة مستقبلة، وهذا مما لم تحتكم به نفسك، وقد قرأتُ رسالتك في بصيرة غنام، ولولا إني أزيد في مخيلتك لعرفتُك ما يعتريني عند قراءتها، والسلام»⁽¹⁾.

قلت: يفهم من رسالة الفتح بن خاقان أنه يطلب من الجاحظ كتابة «الرد على النصارى» وقد فعل الجاحظ ذلك، وقدمها إلى الفتح، ونال جائزته.

قال في أول هذه الرسالة: «الحمد لله الذي من علينا بتوحيده، وجعلنا مما ينبغي شبهة خلقه وسياسة عباد، وجعلنا لا نفرق بين أحد من رسله، ولا نجحد كتاباً اوجب علينا الإقرار به، ولا نضيف إليه ما ليس منه، إنه حميد مجيد، فعال لما يريد، أما بعد، فقد قرأت كتابكم، وفهمت ما ذكرتم فيه، من مسائل النصارى قبلكم، وما دخل على قلوب أحداثكم وضعفائكم من اللبس، والذي ختموه على جواباتهم من العجز، وما سألتهم من إقرارهم بالمسائل، ومن حسن معونتهم بالجواب»⁽²⁾.

قلت: فلما علم المتوكل ما لدى الجاحظ من العلم في فنون كثيرة، طلبه، وكان الجاحظ في أخريات حياته، وكان قد أصابته علة أقعدته على الفراش لمدة طويلة قبل أن يرحل عن الدنيا، سنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

(1) معجم الأدباء (16/ 99).

(2) رسائل الجاحظ (2/ 203).

أخبار الجاحظ في ديوان الرسائل:

قال أبو دلف الكاتب قال: صدر الجاحظ في ديوان الرسائل أيام المأمون ثلاثة أيام ثم إنه استعفى فأعفي.

قلت: إن الجاحظ بعلمه ومطالعتة للكتب لساعات طوال، جعله يمل من هذا العمل في ديوان إنشاء الرسائل، وهذا بلا ريب يشكل عليه الضيق والضجر، وهكذا يكون العالم البصير الماهر في النظر والباحث التحرير كالجاحظ.

مع ذلك لو بقي الجاحظ لفترة أطول لكاد يكون أفضل كُتَّاب الديوان، وأفل نجم الكُتَّاب العاملين في الديوان، قال سهل بن هارون: إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان، أفل نجم الكُتَّاب⁽¹⁾.

قلت: فالجاحظ مشهور بالبيان والبلاغة، ويبدو أن الجاحظ كان يرى أن وجوده ربما في الديوان يدعو إلى الملل والكلل، ويبعده عن عشقه الذي لا ينضب، وهي مطالعة الكتب، والكتابة.

ومن الأخبار في هذا الباب:

حدث عبد الرحمن بن محمد الكاتب قال: كان الجاحظ يتقلد خلافة إبراهيم بن العباس الصولي، على ديوان الرسائل، فلما جاء إلى الديوان، جاءه أبو العيناء، فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ إلى حاجبه: إذا وصل إلى الدهليز ألا

(1) معجم الأدباء (79/16).

يدعه يخرج، ولا يمكنه من الرجوع إليه، فخرج أبو العيناء ففعل به ذلك، فنادى بأعلى صوته: يا أبا عثمان قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك⁽¹⁾.

قلت: وللجاحظ مع أبو العيناء هذا أخبار سنذكرها في موضعه إن شاء الله تعالى.
خبر الجاحظ وأبي الفرغ بن نجاح:

كما أن للجاحظ كان له حظوة عند أولئك الذين ذكرناهم سالفاً، وما كان من علاقته بهم، فإن لأبي الفرغ بن نجاح نصيب من ذلك.

وأبي الفرغ هو محمد بن نجاح بن سلمه، وكان أبوه نجاح على ديوان التوقيع في خلافة المتوكل، وقلته سنة خمس وأربعين ومائتين.

والرسالة التي وضعها الجاحظ هي عبارة عن جمع الأسماء، من كنيته أبو عثمان، وفيها قصيدة هي للجاحظ نفسه، جاء في أول هذه الرسالة: «جُعلت فداك، وأطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك وأيدك، قد نسخت لك - أعزك الله - في صدر هذا الكتاب قصيدةً قلت في أبي الفرغ أدام الله عزه، ذكروا أن قائلها رجل يكنى أبا عثمان، ولا أدري، أهو أبو عثمان هشام بن المغيرة، أم أبو عثمان عفان بن أبي العاص»⁽²⁾.

ثم ختم رسالته هذه بقصيدة مكونة من ثمان وعشرين بيتاً، وهذه القصيدة كما قال عنها ياقوت رحمه الله تعالى: وقال الجاحظ في أبي الفرغ نجاح بن سلمه،

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموي (16 / 84).

(2) رسائل الجاحظ (1 / 326).

يسأله إطلاق رزقه من قصيدة⁽¹⁾، ثم ذكر ياقوت القصيدة، ولكن ليست كلها. ونحن نذكرها كاملةً إن شاء الله تعالى.

أَقَامَ بَدَارِ الْخَفَضِ رَاضٍ بِحَظِّهِ وَذُو الْحِرْصِ يَسْرِي حِينَ لَا أَحَدٌ يَسْرِي
يَظُنُّ الرِّضَا بِالْقَسَمِ شَيْئاً مَهُوناً وَذُونَ الرِّضَا كَأْسُ أَمْرٍ مِّنَ الصَّبْرِ
جُزِعْتُ فَلَمْ أَعْتَبْ فَلَوْ كُنْتُ ذَا حِجَابٍ لَقَنَعْتُ نَفْسِي بِالْقَلِيلِ مِّنَ الْوَفْرِ
أَظُنُّ غَبِيَّ الْقَوْمِ أَرْغَدَ عَيْشَةً وَأَجَذَلُ فِي حَالِ الْيَسَارَةِ وَالْعُسْرِ
تَمَرَّ بِهِ الْأَحَادُثُ تُرْعِدُ مَرَّةً وَتُبْرِقُ أُخْرَى بِالْخَطُوبِ وَمَا يَدْرِي
سَوَاءٌ عَلَى الْأَيَّامِ صَاحِبُ حَنْكَةٍ وَآخِرُ كَابٍ لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَمْ أَكُنْ ذَا حَفِظَةٍ طُوبَى لِّغَايَاتِ الْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ
خَضَعْتُ لِبَعْضِ الْقَوْمِ أَرْجَوُ نَوَالِهِ وَقَدْ كُنْتُ لَا أُعْطِي الدَّيْنَةَ بِالْقَسْرِ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَبْذُلُ بَشَرَهُ وَيَجْعَلُ حُسْنَ الْبَشْرِ وَاقِيَةَ التَّبَرِّ
رَبَعْتُ عَلَى ظُلْعِي وَوَجَعْتُ مَنْزِلِي فَصِرْتُ حَلِيفًا لِلدِّرَاسَةِ وَالْفَكْرِ
وَشَاوَرْتُ إِخْوَانِي فَقَالَ حَكِيمُهُمْ عَلَيْكَ الْفَتَى الْمُرِي ذَا الْخَلْقِ الْغَمْرِ
فَتَى لَمْ يَقِفْ فِي الدَّهْرِ مَوْقِفَ ظَنَّةٍ فَيَحْتَاجَ فِيهِ لِلتَّنْصُلِ وَالْعُذْرِ
أَعْيَذُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ قَوْلٍ شَامِتٍ أَبُو الْفَرَجِ الْمَأْمُولُ يَزْهَدُ فِي عَمْرٍو
وَلَوْ كَانَ فِيهِ رَاغِبًا لِرَأْيَتِهِ كَمَا كَانَ دَهْرًا فِي الرَّخَاءِ وَفِي الْيُسْرِ
أَتَرْضَى - فِدَتِكَ الْيَوْمَ نَفْسِي وَأَسْرَتِي - بِتَأْخِيرِ أَرْزَاقِي وَأَنْتَ تَلِي أَمْرِي
أَلَا يَا فَتَى الْكُتَّابِ وَالْعَسْكَرِ الَّذِي تَأْزُرُ بِالْحَسَنِ وَأُيِّدُ بِالنَّصْرِ

(1) معجم الأدباء لياقوت (16/ 111).

أَخَافُ عَلَيْكَ الْعَيْنُ أَوْ نَفْسٌ وَامِقٍ وذو الوُدِّ منخوبُ الفؤاد من الذعرِ
وَعَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَرْشِدُ أَمْرَهُ ويحفظه في القاطنين وفي السَّفرِ
مُطْلَأًا عَلَى التَّدْبِيرِ مَا يَسْتَفْزُهُ مكأيِدُ محتالٍ عقاربُهُ تَسْرِي
بِرَأْيٍ يَزِيلُ الطُّودَ مِنْ مَسْتَقَرِّهِ وأَوْضَحَ عِنْدَ الْخَصْمِ مِنْ وَضَحِ الْفَجْرِ
وَعَزِمَ كَغَرْبِ الْمَشْرِقِ فِي مَصْمَمٍ وقلب ربيط الجأش منثلج الصدرِ
فِيَا ابْنَ نَجَاحٍ أَنْجَحِ اللَّهَ سَعِيَكُمْ وأيدكم بالنصر والعدد الدَّثَرِ
قَعْدْتُ فَلَمْ أَطْلُبْ وَجُلْتُ فَلَمْ أَصِبْ خَلِيلًا يُوَاسِينِي وَيَرْغَبُ فِي شُكْرِي
وَأَنْ أَخْفَفْتُ كَفْيِي وَقَدْ عُلِقْتُمْ فَقَدْ قَالَ رَأْيِي وَاسْتَنْمْتُ إِلَى شَعْرِي
أَعِيذُكَ بِالرَّحْمَنِ أَنْ تَشُمْتَ الْعِدَى فَلِلْفَقْرِ خَيْرٌ مِنْ شِمَاتِهِ ذِي الْغَمْرِ
فَإِنْ تَرَعَ وَدِيَّ بِالْقَبُولِ فَأَهْلُهُ وَلَا يَعْرِفُ الْأَقْدَارَ غَيْرَ ذُو الْقَدْرِ
وَحَسْبُكَ بِي إِنْ شِئْتُ وَدَاً وَخُلَّةً وَحَسْبُكَ بِي يَوْمَ النِّزَاهَةِ وَالصَّبْرِ
أَلَّا رَبُّ شُكْرِ دَائِرُ الرَّسَمِ دَارِسٍ وَشُكْرُ كَنْقَشِ الْحَمِيرَةِ فِي الصَّخْرِ

ثم قال الجاحظ: ونعوذ بالله أن يكون فيكم ما يستدعي الألفاظ الشريفة، والمعاني النفيسة، ويكون التقصير مني وكيفما تصرفت بي الحال فإني لم أخرج من جهد المجتهدين الراغبين المخلصين، فإن وقعت هذه القصيدة، والتي قدمنا قبلها بالموافقة فالحمد لله.

وأن خالفت فستغفر الله، وأن شيعتم ضعفها بقوة كرمكم، وقومتهم أودها بفضل حلکم، كان في ذلك بلاغ لما أملنا. والله الموفق⁽¹⁾.

(1) رسائل الجاحظ (1 / 359 - 332).

ذكر خبر الجاحظ والحسن بن وهب:

قلت: هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين، كاتب شاعر، عاصر كل من محمد بن عبد الملك بن الزيات، والشاعر أبو تمام.

وكان الجاحظ وكعاداته، أرسل إليه رسالة في «مدح النبيذ وصفة أصحابه» وكما جاء في رسالته ويبدو لقارئها، أن الحسن بن وهب كان قليل الأطناب في النبيذ. فمما جاء في هذه الرسالة: «أنا أبقاك الله، الطالب المشغول، والقائل المعذور، فأن رأيت خطأ فلا تنكر، فأني بصدده وبعرض منه، بل في الحال التي توجهه والسبب الذي يؤدي إليه.

وإن سمعت تسديداً فهو الغريب الذي لا نجده، اللهم إلا أن يكون من بركة مكاتبتك ويمن مطالبتك.

ولأن ذكرك يشحذ الذهن، ويصورك في الوهم، ويجلو العقل، وتأميلك ينفي الشغل. ولا يعجبني ما رأيت من قلة إطنابك في هذا النبيذ، وقلة تلهيك عن هذا الشراب وأنت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يصاب عند خطيبٍ، ولا يوجد عند بليغ.

وأنت لو مشيت الخيلاء، وحقرت العظماء، وأرغبت الشعراء، وأعطيت الخطباء، ليكون القول منهم موصولاً غير مقطوع، ومبسوطاً غير مقصور، لكنت بعد مقصراً في أمره، مفرطاً في واجب حقه، فلا تأديب الله قبلت، ولا قول الناصح سمعت»⁽¹⁾.



خبر عزوف الجاحظ عن الزواج:

لم يذكر أحد في كتب الأدب وغيره سبب عزوف الجاحظ عن الزواج، وهل من سبب لذلك، أكانت مطالعته للكتب وإدمانه عليها عزفه عن أن يطلب النسل، ويعيش عيشة الأسوياء، وهل لقبح خلقته عدم الرضى به كزوج، فإنه كان ميسور الحال، ولكنه أثر العلم على الزواج وطلب العيال.

روي عن ميمون بن هارون: قلت للجاحظ: ألك بالبصرة ضيعة؟ فتبسم وقال: إنما أنا وجارية، وجارية تخدمها، وخادم وحمار، أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك، فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبي داود فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم الصولي، فأعطاني خمسة آلاف دينار، فانصرفت إلى البصرة ومعني ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد⁽¹⁾.



(1) معجم الأدباء (16/ 106).

باب في مجموع أخبار الجاحظ ونوادره

كان الجاحظ رجل فكاھي وظریف، وكان ذلك طبع فيه ولهذا نراه يروي الكثير من النوادر الظریفة التي حصلت له مع الناس، أو يذكر ماسمعه.

أخباره مع أبو العیناء:

وحدث أبو العیناء محمد بن القاسم قال: كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي: أريد الخروج إلى فلان العامل وأحببتُ أن يكون معي إليه وسيلة وقد سألت: من صديقه؟ فقبل لي: أبو عثمان الجاحظ، وهو صديقك وأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية، قال: فصرت إلى الجاحظ، فقلت له: جئتكَ مسلماً وقاضياً للحق، ولي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا قال: لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وتعرف أخبارنا، إذا كان في غدٍ وجهتُ إليك بالكتاب فلما كان من غدٍ وجه إليّ بالكتاب، فقلت لأبني: وجه هذا الكتاب إليّ فلان ففيه حاجته. فقال لي: إن أبا عثمان بعيد الغور، فينبغي أن نفذه وننظر ما فيه، ففعل فإذا فيه: «من لا أوجب حقه، فإن قضيت حاجته لم أحمذك، وإن رددته لم أذمك».

فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري، فقال: يا أبا عبد الله، قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب، فقلت: أوليس موضع نكرة. فقال: لا، هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعطني به. فقلت: لا إله إلا الله، ما رأيت أحداً بطبعك ولا ما جبلت عليه، من هذا الرجل، علمت أنه لما قرأ الكتاب قال: أم

الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف....⁽¹⁾ وأم من يسأله حاجةً فقلت له: ما هذا؟ تشتم صديقنا.

فقال: هذه علامتي فيمن أشكره، فضحك الجاحظ، وحدث الفتح بن خاقان، وحدث الفتح المتوكل، فذلك كان سبب اتصالي به وإحضاري إلى مجلسه⁽²⁾.

ويروى أيضاً رواية أخرى:

وسأل - أبو العيناء - الجاحظ كتاباً إلى محمد بن عبد الملك في شفاعته لصاحب له، فكتب الكتاب، وناولته الرجل، فعاد به إلى أبي العيناء وقال: قد أسعف. قال: فهل قرأته؟ قال: لا، لأنه مختوم. قال: ويحك، فض طينة أولى من حمل ظنة، لا يكون صحيفة المتلمس⁽³⁾، ففض الكتاب، فإذا فيه: موصل كتابي سألني فيه أبو العيناء، وقد عرفت سفهه وبذا لسانه وما أراه لمعروفك أهلاً. فإن أحست إليه فلا تحسبه عليّ يداً، وأن تحسن، لم أعتده عليك ذنباً، والسلام.

فركب أبو العيناء إلى الجاحظ، وقال له: قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان، فخجل الجاحظ، وقال: يا أبو العيناء، هذه علامتي فيمن أعتني به. قال: فإذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فأعلم أنه علامته فيمن شكر معروفه⁽⁴⁾.

ما جرى للجاحظ مع رجل نقد على موضوع في كتابه البيان والتبيين:

نقل عن أبي الفرج علي بن الحسن الأصبهاني، أخبرنا يحيى بن علي، قال حدثني أبي قال: قلت للجاحظ: أنني قرأت في فصل كتابك المسمى «البيان

(1) كلمة قبيحة قالها في أم الجاحظ أثرتنا إخفاءها لقبح معناها فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(2) معجم الأدباء (16 / 83 / 84).

(3) المتلمس: شاعر جاهلي، واسمه جرير بن عبد العزى مات سنة 50 قبل الهجرة.

(4) نثر الدر (3 / 203 - 204).

والتبيين» إن مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام واستشهدت ببיתי مالك ابن أسماء يعني قوله:

وحديث أله هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وبلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

قال: هو كذاك، قلت: أفما سمعت بخبر هند بنت أسماء بن خارجة مع الحجاج، حيث لحت في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجت ببיתי أخيها؟ فقال لها: إن أخاك أراد أن المرأة فطنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى في الظاهر تستر معناه، وتوري عنه وتفهمه من أرادت بالتعريض، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:30]، ولم يرد الخطأ في الكلام، والخطأ لا يستحسن من أحد. فوجم الجاحظ ساعة ثم قال: لو سقط إليّ هذا الخبر لما قلت ما تقدم. فقلت له: فأصلحه. فقال: الآن وقد سار الكتاب في الآفاق هذا لا يصلح - أو نحو هذا من الكلام.
خبر أبو هفان والجاحظ:

قال أبو حيان: وحدثنا مقسم - وقد طال ذكر الجاحظ لأبي هفان - قيل لأبي هفان: لم لا تهجو الجاحظ، وقد ندد بك وأخذ بمخنقك؟ فقال: أمثلي يُخدع عن عقله، والله لو وضع رسالة في أرنبه أنفي لما أمست إلا بالصين شهرةً، ولو قلت فيه ألف بيت لما طنَّ⁽¹⁾ منها بيت في ألف سنة⁽²⁾.

(1) يعني ما سمع لها صوت، ولا أخذت في الشهرة.
(2) معجم الأدباء (16 / 99). وتاريخ بغداد (10 / 158).

خبر الجاحظ مع عجمي فصيح:

قال الجاحظ: كان يأتيني رجل فصيح من العجم، قال: فقلت له هذه الفصاحة وهذا البيان، لو ادعيت في قبيلة من العرب، لكنت لا تُنازع فيها. قال: فأجابني إلى ذلك، فجعلت أحفظه نسباً حتى حفظه وهذه هذا. فقلت له: الآن لا تته علينا. فقال: سبحان الله، أن فعلت ذلك فأنا أذاً أدعي⁽¹⁾.

خبر الجاحظ وغلّامه:

قال الجاحظ: اشتريت عبداً بمائة درهم فاسترخصته، فتعشيت سمكاً ونمت، فاستدعيت منه ماء، فقال: أسكت تأكل السمك، وتشرب عليه الماء ليتولد منه كذا وكذا، وأمتنع فلما أشتد عطشي قمت وشربت فقال: يا مولاي أحمل معك حتى أشرب أنا أيضاً⁽²⁾.

خبر الجاحظ مع معلم كتاب:

ومن ظريف ما يحكى، أن الجاحظ قال: عبرت يوماً على معلم كتاب، فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح، فقام إليّ وأجلسني معه، ففاتحته في القرآن، فإذا هو ماهر، ففاتحته في شي من النحو فوجدته ماهراً، ثم أشعار العرب واللغة، فإذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت: قد وجب عليّ تقطيع دفتر المعلمين، فكنت كل قليل أتفقده وأزوره.

(1) معجم الأدباء (16 / 93).

(2) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (1 / 437).

قال: فأتيتُ بعض الأيام إلى زيارته، فوجدت الكتاب مغلقاً، فسألت جيرانه فقالوا: مات عنده ميت، فقلت أروح أعزيه. فجئت إلى بابه، فطرقتة فخرجت إليّ جارية، وقالت ما تريد؟ قلت: مولاك.

فقالت: مولاي جالس وحده في العزاء، ما يعطي لأحد في الطريق.

قلت: قولي له صديقك فلان يطلب يعزيك، فدخلت وخرجت.

وقالت: باسم الله.

فعبرتُ إليه، فإذا هو جالس وحده فقلت: أعظم الله أجرك، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، وهذا سبيل لأبد منه، فعليك بالصبر. ثم قلت: أهذا الذي توفي ولدك؟ قال: لا. قلت: فوالدك؟ قال: لا. قلت: فأخوك. قال: لا. قلت: فمن؟ قال: حبيبتى. فقلت في نفسي: هذا أول المناحس. وقلت له: سبحان الله تجد غيرها، وتقع عينك على أحسن منها. فقال: وكأنى بك وقد ظننت أنى رأيته؟ فقلت في نفسي: هذه منحسة ثانية. ثم قلت له: وكيف عشقت من لا رأيته؟ فقال: أعلم أنى كنت جالساً، وإذا رجل عابر يغني وهو يقول:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردى عليّ فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي: لولا أن هذه أم عمرو ما في الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها.

فلما كان بعد يومين عبر عليّ ذلك الرجل وهو يغني و يقول:

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها، وقعدت في العزاء منذ ثلاثة أيام. قال الجاحظ:
فعادت عزيمتي وقويت على كتابة الدفتر أم عمرو⁽¹⁾.

خبر حوار الجاحظ مع رجل بخيل:

قال الجاحظ للخزامي: أترضى أن يقال لك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم،
لأنه لا يقال لي: بخيل إلا وأنا ذو مال، فسلم لي المال وسمني بأي أسم شئت.

فقال الجاحظ: جمع الله لأسم السخاء المال والحمد، وجمع لاسم البخل المال
والذم. قال: بينهما فرق عجيب وبون بعيد، إن في قولهم بخيل، سبباً ملكث المال، وفي قولهم
سخي، سبباً لخروج المال عن ملكي، واسم البخيل فيه حفظ وذم، واسم السخي فيه تضييع
وحمد، والمال ناض⁽²⁾ ونافع، ومكرم لأهله، والحمد ريح وسخرية ومسمعه وطرمة⁽³⁾، وما
أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعُري ظهره وضاع عياله، وشمت به عدوه⁽⁴⁾.

خبر الجاحظ مع رجل آذاه:

قال محمد بن يزيد المبرد: سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه: أنت والله أحوج إلى
هوان من كريم إلى أكرم، ومن علم إلى عمل، ومن قدرة إلى عفو، ومن نعمة إلى شكر⁽⁵⁾.

(1) ثمرات الأوراق لا بن حجة الحموي ص 299.

(2) ناض: أي له مدة وبقاء.

(3) طرمة: صلف وكان مفاخرًا ومباهيًا بما ليس فيه.

(4) العقد الفريد (7 / 191).

(5) تاريخ بغداد (10 / 158).

نادرة للجاحظ مع جارية:

قال الجاحظ: طلبتُ بعض أصدقائي في داره فلم أجده، فقلت لجاريتته: إذا حضر صاحبك فقلولي له: إن الجاحظ كان بالباب. قالت: نعم الجاحظ بالباب ! قلت: قلولي الحَدَقِي. قالت: نعم الحلقي. فقلت: عَلَيْكِ بالأول⁽¹⁾.

خبر الجاحظ مع رجل فقير:

قال الجاحظ: قلت لعبيد الكلابي وكان فصيحاً فقيراً: أيسُرُكَ أن تكون هجيناً ولك ألف جريب؟ قال: لا أحب اللؤمُ بشيء ! قلت: فإن أمير المؤمنين ابن أمةٍ ! قال: أخزى الله من أطاعه.

قلت: نبي الله محمد وإسماعيل كانا ابني أمةٍ. قال: لا يقول هذا إلا قدرتي، قلت: فما قدرتي؟ قال: لا أدري⁽²⁾.

خبر الجاحظ وبشر المريسي:

ذكر أبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي، في كتابه « مجالس العلماء » حدثني أبو الحسن قال: حدثني أبو العباس محمد بن يزيد قال: حدثني أبو عثمان المازني قال: قال لي الجاحظ: رأيتُ المريسي، وقد سئل عن رجلٍ، فقال: هو على أحسن حال وأهيئوها. قال: فقلتُ لأصحابه: لحنَ. فقالوا لي: أترى إننا نبطل قول المريسي ونقبل منك؟ فذهبوا فسألوا ثمامة، فقالوا: إنَّ المريسي سئل عن رجلٍ

(1) محاضرات الأدباء (1 / 136).

(2) محاضرات الأدباء (1 / 728).

فقال: هو على أحسن حال وأهيؤها ! فقال الجاحظ: لحن. فقال ثامة: أخطأ الجاحظ، الجاحظ أحمق ! هذا يجوز على قوله:

* إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهِ يَكْلُوهَا⁽¹⁾ *

خبر الجاحظ مع الفلوسكي:

قال الجاحظ: دعا أبو عبد الله الواسطي إلى ضيع، فدعاني، فدعوت أنا الفلوسكي، فلما كان من الغد صبح الفلوسكي الجاحظ، فقال له: أما تذهب بنا هناك يا أبا عثمان؟ قال: نعم. قال: فذهبنا حتى أتينا دار صاحب الضيع، ولم يكن علينا كسوة رائعة، ولا تحتنا دواب فتدخل تجاهنا، فوجدنا البواب ذا غلظٍ وجفاء، فمنعنا، فانحدرنا في جانب الإيوان ننظر أحداً يُعلم أبا عبد الله الواسطي بحالنا، فمكثنا حيناً حتى أتى من نعرفه، فسألناه أن يُعلم أبا عبد الله الواسطي بنا، فلما أخبر خرج إلينا يتلقانا، فتقدمني الفلوسكي، وتقدمه حتى أتى صدر المجلس، فقعده فيه، ثم قال لي: ههنا عندنا يا أبا عثمان ! فلما خلونا ثلاثتنا، قلت للفلوسكي: كيف تسمي العرب من أمالت إلى نفسها؟ قال الفلوسكي: تسميه ضيفاً. فقال له الجاحظ: وكيف تسمي من أماله الضيف؟ قال: تسميه ضيفنا. قال الجاحظ: وكيف تسمي من أماله الضيفين؟ قال: ما لمثل هذا عند العرب تسمية. قال الجاحظ: فقلت: قد رضيت أن تكون في منزلة من التطفيل لم تجد لها العرب أسماء، ثم تتحكم تحكم صاحب البيت⁽²⁾.

(1) مجالس العلماء للزجاجي ص 122.

(2) العقد الفريد (7 / 208).

خبر الجاحظ مع قاص:

قال الجاحظ: وقفت يوماً على قاص، فأردتُ الولعَ به فقلت لمن حوله: أنه رجل صالح لا يحب الشهرة، فتفرقوا عنه، فنظر إليّ وقال: حسبك الله⁽¹⁾!

وفي رواية: الله حسبك إذا لم يرَ الصياد طيراً كيف يمد شبكته⁽²⁾؟

خبر الجاحظ والمرأتين:

قال الجاحظ: ما أخرجني مثل امرأتين: رأيت أحدهما في العسكر، وكانت طويلة القامة، وكنت على طعام، فأردتُ أن أمازحها، فقلتُ: انزلي كلي معنا. فقالت: أصعد أنت حتى ترى الدنيا.

قلت: وكان الجاحظ قصير القامة.

قال الجاحظ: وأما الأخرى فإنها أتتني وأنا على باب داري، فقالت: لي إليك حاجة، وأريد أن تمشي معي. فقمتم معها إلى أن أتت بي إلى صانع يهودي، فقالت له: مثل هذا. وانصرفت. فسألت الصائغ عن قولها، فقال: أنها أتت إليّ بفص، وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان، فقلت: يا ستي، ما رأيت الشيطان ! فأتت بك، وقالت: ما سمعت⁽³⁾!

قلت: اختارت الجاحظ لأنه قد عرف بقبح خلقته، وقد صورته كالشيطان، وكأنها قد

شبهت الشيطان بذئ خلقه بشعة.

(1) سرح العيون لا بن نباته المصري ص 251.

(2) تاريخ دمشق (438 / 45).

(3) سرح العيون لا بن نباته المصري ص 250.

خبر الجاحظ مع أحد الثقلاء:

قال الجاحظ: أتاني بعض الثقلاء، فقال سمعت أن لك ألف جواب مسكت، فعلمني منها. فقلت: إنها لا تتعلم، فأن الجواب على قدر الكلام. فقال: على كل حال. فقلت: نعم. فقال: إذا قال لي شخص: يا زوج...⁽¹⁾ يا ثقیل أيش أقول له؟ قل له: صدقت⁽²⁾!

خبر الجاحظ وأبا الربيع الغنوي:

وحدث المبرد قال: قال الجاحظ: أتيت أبا الربيع الغنوي أنا ورجل من بني هاشم فأستاذنا عليه فخرج إلينا وقال: خرج إليكم رجل كريم والله. فقلت له: من خير الخلق يا أبا الربيع؟

فقال: الناس والله.

قلت: ومن خير الناس؟.

قال: العرب والله.

قلت: فمن خير العرب؟.

قال: مُضَرُّ والله.

قلت: فمن خير مُضَرٍّ؟.

قال: قيس والله.

قلت: ومن خير قيس؟.

قال: أعصرُ والله.

(1) كلمة بذئبة آثرت حذفها من كتابنا هذا.

(2) سرح العيون لا بن نباته المصري ص 251.

قلت: فمن خير أعَصُرُ؟.

قال: غنيُّ والله.

قلت: فمن خير غني؟.

قال: أنا والله.

قلت: فأنت خير الخلق؟.

قال: أي والله.

قُلْتُ: أيسرك لو أنك تزوجت بنت يزيد بن المهلب؟.

قال: والله لا أدنس كرمي بلؤمها. قلت: على أن لك الجنة. ففكر ساعة ثم قال:

على ألا تلد مني وأنشد:

تأبى لأعصر أعراق مهذبة	من أن تناسب قوماً غير أكفاء
فإن يكن ذاك حتماً لا مرد له	فأذكر حُذيفَ فإني غير أباء

حذيفة بن بكر، وإنما ذكره من بين الأشراف، لأنه أقربهم إليه نسباً⁽¹⁾.

خبر الجاحظ مع من يدق على بابه:

ودق باب الجاحظ رجل فقال: من؟ قال: أنا. قال: أنت والدق سواء.

ودق آخر فقال: من؟ قال: أنا. قال: لا نعرف من أسمه أنا.

ودق آخر فقليل من؟ قال: ما أفلح ذو أنا⁽²⁾.

(1) معجم الأدباء لياقوت (16 / 86).

(2) محاضرات الأدباء (3 / 670).

خبر الجاحظ مع رجل لم يأكل عنده لحمًا:

قال الجاحظ: نزلتُ على صديق لي، فلم آكل عنده لحمًا، فعرضت له، فقال: إني لا أكثر

من اللحم منذ سمعت الحديث: «إن الله يكره البيت اللحم»⁽¹⁾.

فقلت له: يا أخي، أنما أراد البيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة، فلم يؤخر

حضور اللحم من ذلك اليوم⁽²⁾.

نادرة للجاحظ مع رجل:

قال الجاحظ لرجلٍ: كم بيتٍ في دارك؟ فقال: صُفَّةٌ وكنيفان.

فقال: هذا تقطيع رجل مبطون⁽³⁾.

خبر الجاحظ مع رجل مشغوف بالإبل:

وقال الجاحظ: قلت لعبيد الكلابي وكان مشغوفًا بالإبل: أبينكم وبين الإبل قرابة؟

قال: نعم، خوؤلة. فقلت: مسخك الله بغيراً. فقال: أن الله لا يمسخ أنساناً على صورة

كريم، وإنما يمسخه على صورة لئيم⁽⁴⁾.

خبر الجاحظ مع معلم:

قال الجاحظ: أنشد معلم:

ورحاً المنية تعجن

الناس في غفلاتهم

(1) هذا الحديث لم أقف عليه.

(2) سرح العيون لا بن نباته المصري ص 253.

(3) محاضرات الأدباء (4/ 535).

(4) محاضرات الأدباء (4/ 799).

فقلت: هو تطحن.

فقال: أسكت صاروا دقيقاً⁽¹⁾.

خبر الجاحظ والعبد الأسود:

وقال الجاحظ: رأيت عبداً أسود لبني أسيد، قدم إلينا من شق اليمامة فبعثوه ناطوراً⁽²⁾. وكان وحشياً يغرب في الإبل، فلما رأني سكن إليّ، فسمعتة يقول: لعن الله بلاداً ليس بها عرب، قاتل الله الشاعر⁽³⁾ حيث يقول:

* حُرّ الثرى مستغرب التراب⁽⁴⁾ *

خبر الجاحظ مع رجل يبكي مخافة ألا يسكر:

وقال الجاحظ: رأيت أسود في يده قنينة وهو يبكي. فقلت له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن تنكسر قبل أن أسكر⁽⁵⁾!

قلت: على ما جاء فيها من نادرة، إلا أننا نرى للجاحظ نوادر يحكيها عن أناس عاصرهم، وهي كثيرة للغاية، وعُرف عن الجاحظ أنه لا يخفي شيئاً يراه، أو قولاً سمعه، وإن كان ما رآه قبيح، أو قول في باطل، فإنه يصرح بذلك دون خفاء.

(1) محاضرات الأدباء (4 / 869).

(2) ناطوراً: الناطور: حافظ الكرم والنخل.

(3) الشاعر هو جندل بن المثنى الطهوي.

(4) نثر الدر (35/6).

(5) نثر الدر (6 / 528).

الجاحظ والخباز الذي يكذب:

وقال الجاحظ: قيل لخبازٍ أنك لتكذب بالحديث. قال: وما عليك إذا كان الذي أزيد فيه أحسن منه، فوالله ما يُنفعك صدقُه ولا يضرُّك كذبُه، وما يدور الأمر إلا على لفظ جيد، ومعنى حسن. لكنك والله لو أردت ذلك، لتلججَ لسانُك، ولذهبَ كلامُك⁽¹⁾.

نادرة للجاحظ مع عاطس:

قال الجاحظ قلت يوماً لعبدوس بن محمد، وقد سألتَه عن سنَّه: لقد عجل عليك الشيبُ. فقال: وكيف لا يُعجل عليّ؟ وأنا محتاج إلى من لو نفذ فيه حكمي لسرحته مع النعاج، وألقطه مع الدجاج وجعلته قيم السراج، ووقاية يد الحلاج، هذا أبو ساسان أحمد بن العباس العجلي، له ألف ألف درهم في سنة، فعطس. فقلت له: يرحمُك الله. فقال: يعرفكم الله⁽²⁾.

نادرة للجاحظ مع مغفل:

قال الجاحظ: قلتُ لأبي الجسيم: إن رأيتَ أن ترضى عن فلان فأفعل. قال: لا والله حتى يبلغني أنه قد قبل رجلي⁽³⁾.

خبر الجاحظ والمعلم:

وقال الجاحظ: ومررت بمعلم وهو يلقي صبيّاً:

يا أبا الغياس جثى أجرح الفتیان غثا

(1) نثر الدر (539/6).

(2) نثر الدر (360/7).

(3) نثر الدر (360/7).

لبش في الأرض إياس	شـزنوا أيلـج مـثـا
فقلت بالعبرانية هذا؟ قال:	أخرج الفتيان عنا
لـيس في الأرض أنـاس ⁽¹⁾	شـربوا ملح مـنا

فقلت أيها المعلم، إنك ضائع بهذا البلد، قال: نعم، قدور ومزاريق⁽¹⁾.

خبر الجاحظ في نسيان كنيته ثلاثة أيام:

وقال الجاحظ نسيت كنيتي ثلاثة أيام، فأتيت أهلي فقلت: بمن أكنى؟ فقالوا: بأبي

عثمان⁽²⁾.

قلت: ربما كان سبب نسيانه كنيته، لمطالعتة للكتب لساعات طوال، فقد يحدث هذا، بل قد يحدث في نسيان أسماء أناس نعرفهم فسألوا أهل الكتب، فتراهم لا يعرفون عن الدنيا وما فيها إلا قليلاً، ولو سألتهم عن أحوال الآخرة، وما فيها كائن لتحديثوا عنها، وقد أكون واحداً منهم.

الجاحظ وقول ابن غزوان في امرأة العزيز:

قال الجاحظ: قرأ قارئ: ﴿قالت فذلكن الذي ملتني فيه ولقد راودته عن نفسه

فاستعصم﴾ [يوسف: 32]. فقال إبراهيم بن غزوان: لا، والله ما سمعت بأعدل من هذه

الفاسقة، أما والله لو تحرشت بي ما استعصمت⁽³⁾.

(1) محاضرات الأدباء (1 / 217).

(2) تاريخ بغداد (10 / 158).

(3) أخبار النساء لابن القيم الجوزية ص 124.

ظرف الجاحظ:

يروى أن الجاحظ: اشترى خصياً أسود. ف قيل له في ذلك، فقال: أخذته أسود لئلا يتهم بي، وخصياً لئلا أتهم به⁽¹⁾.

خبر الجاحظ مع جماعة من زواره:

وحكي أبا طاهر، قال: صرت إلى الجاحظ ومعني جماعة، وقد أسنَّ وأعتل في آخر عمره. وهو في منظرٍ له، وعنده بن خاقان جاره، فقرعنا الباب فلم يفتح لنا، وأشرف من المنطرة، فقال: ألا أني قد حَوَقَلْتُ، وحملت رُميح أبي سعد، وسقت الغنم، فما تصنعون بي؟ سلموا سلام الوداع، فسلمنا وانصرفنا.

قال ابن نباته المصري رحمه الله تعالى: قوله: «حَوَقَلْتُ» أكثر من قلبي: «لا حول ولا قوة إلا بالله» لتتابع الأمراض، وقوله: «سقت الغنم» هو عند العرب كناية عن الهرم، لأن سائق الغنم يطأ من رأسه⁽²⁾.

قلت: يتبين لنا وبجلاء أن الجاحظ في أيام علته كان لا يجيء له زائر، إلا من كان يود السلام عليه من بعيد، وهو سلام مودع، حسب رغبة الجاحظ نفسه. يروي حكاية الفضل بن العباس مع بعض ولد جعفر الطيار:

وحكي الجاحظ قال: شرب ليلة - يعني الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب - مع بعض ولد جعفر على سطح، فلما سكر الجعفري رمى بنفسه إلى أسفل

(1) سرح العيون لا بن نباته المصري ص 252.

(2) سرح العيون لا بن نباته المصري ص 253.

وقال: أنا ابن الطيار في الجنة، فتكسر وتهشم، فتشبت الفضل بالحائط وقال: أنا ابن المقصوص في النار⁽¹⁾.

ير قسمه بثلاثمائة رطبة:

نقل عن أبي بكر بن بالوية يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أسحق يقول: قال لي إبراهيم بن محمود ونحن ببغداد، ألا تدخل على عمرو بن بحر الجاحظ؟ فقلت: مالي وله؟ فقال: إنك إذا انصرفت إلى خرسان سألوك عنه، فلو دخلت إليه وسمعت كلامه؟ ثم لم يزل بي حتى دخلت عليه يوماً، فقدم إلينا طبقاً عليه رطب. فتناولت منه ثلاث رطبات وأمسكت، ومر فيه إبراهيم، فأشرت إليه أن يمسك، فرمقني الجاحظ فقال لي: دعه يا فتى فقد كان عندي في هذه الأيام بعض إخواني، فقدمت إليه الرطب فأمتنع فحلفت عليه فأبي إلا أن ير قسمي بثلاثمائة رطبة⁽²⁾.

خبر الجاحظ مع رجل قصير قال فيه شعراً:

قال يموت بن المزرع، قال لنا عمرو بن بحر الجاحظ: ما غلبني أحد إلا رجل وامرأة، فأما الرجل فإني كنت مجتازاً في بعض الطرق، فإذا أنا برجل قصير بطين كبير الهامة طويلة اللحية، متزر بمئزر وبيده مشط يسقي بها شقه ويمشطها به، فقلت في نفسي: رجل قصير بطين ألحى، فاستزريته، فقلت: أيها الشيخ، قد قلت فيك شعراً، قال: فترك المشط من يده، وقال: قل، فقلت:

(1) سرح العيون ص 345.

(2) تاريخ بغداد (10 / 160).

كأنك صعوة في أصل حش أصاب الحش طش بعد رش

فقال لي: أسمع جواب ما قلت، فقلت: هات.
كأنك كندب في ذنب كبش تدل دل هكذا والكبش يمشي

خبره مع امرأة:

وأما المرأة فإني كنت مجتازاً في بعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكباً على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت أحدهما للآخرى: وأي حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها، فأعنت ثم قلت لهما: أنه ما حملتني أنثى قط، إلاّ ضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى، وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر في جهد جهيد⁽¹⁾.
خبر الجاحظ مع امرأة تدعى مكة:

نقل عن أحمد البلاذري، عن محمد العمري، قال سمعت الجاحظ يقول: رأيت جارية ببغداد في سوق النخاسين ينادي عليها، فدعوت بها، وجعلت أقبلها.
فقلت لها: ما أسمك؟

قالت: مكة.

قلت: الله اكبر، قد قرب الله الحج، أتأذنين أن أقبل الحجر الأسود؟
قالت: إليك عني، أوم تسمع الله تعالى يقول: ﴿لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيه إِلَّا بِشَقِ
الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: 7]⁽²⁾.

(1) تاريخ دمشق (45 / 436).

(2) تاريخ دمشق (45 / 437).

نادرة للجاحظ:

عن يموت بن المزرع قال: سمعت خالي عمرو بن بحر الجاحظ يقول: أمليت على إنسان مرة: أنا عمرو فاستملى: أنا بشر، وكتب: أنا يزيد⁽¹⁾.

جواب الجاحظ لرجل سأل عن حاله:

نقل عن عليّ بن القاسم الأديب الخوافي، حدثني بعض أخواني أنه دخل على عمرو بن بحر الجاحظ فقال: يا أبا عثمان كيف حالك؟ فقال له الجاحظ: سألتني عن الجملة، فاسمعها مني واحداً واحداً. حالي أن الوزير يتكلم برأيي، وينفذ أمري ويؤثر الخليفة الصلات إليّ، وأكل من لحم الطير أسمنها، وألبس من الثياب ألينها، وأجلس على ألين الطبري، وأتكئ على هذا الريش ثم أسير على هذا حتى يأتي الله بالفرج. فقال الرجل: الفرّج ما أنت فيه. قال: بل أحب أن تكون الخلافة لي، ويعمل محمد بن عبد الملك بأمرى، ويختلف إليّ، فهذا هو الفرّج⁽²⁾.



(1) تاريخ دمشق (45 / 438).

(2) تاريخ بغداد (10 / 1).

باب في ذكر ما له من الشعر وإنشاده له

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولوالديه: للجاحظ شعر، لكنه ليس مجموع في كتاب وهذا لا ريب يدعو للعجب أكان الجاحظ قد دون ديواناً لقصائده، لسنا في تأكيد من ذلك، فأكثر مصنفاته مفقودة، وما حفظ لنا من شعره وقصائده إلا علماء الأدب في كتبهم، وهي بلا ريب قليلة جداً.

فالجاحظ أديب سطع نجمه وسارت بكتبه الركبان في كل الأقطار، أليس يكون له مجموع شعر مدون، أم هل كان هو نفسه ينشد القصائد هنا وهنا سواء كانت له أم لغيره، وهناك قصائد أنشدتها لغيره، وهناك قصائد قيلت أنها له.

وأكبر الظن، أن الجاحظ لم يكن يجيد فن كتابة القصائد، وهو يعلم بنفسه من غيره، ما إذا كان يجيد هذا أم لا، وعلى كل حال هو أديب وناقد للشعر حاذق مثقف في كتابة الرسائل، ولفقد كتبه وهي كثيرة يدعوننا للحيرة في إجادته للشعر أم لا.

وعند التقصي في شعره والذي أمتاز بالتنوع في الموضوعات، من مديح وهجاء وغير ذلك، حصلنا على مجموع لا بأس به من القصائد، ومن الملاحظ أنها قصائد قصار، وهذا يدعوننا للسؤال، هل للجاحظ نظرة خاصة في كتابة الشعر، أم أن قريحته لا تؤدي أكثر مما تستطيع. وكنا قد ذكرنا له قصيدة مطولة وهي ضمن رسالة له إلى ابن الفرغ بن نجاح يسأله إطلاق رزقه.

وعدد الأبيات نحو ثمان وعشرين بيتاً، وتكاد تكون أطول قصيدة كتبها الجاحظ وربما هناك ما هو أطول من ذلك، لكنني لم أعثر له على شيء، لكنني على كل حال أدرك ملياً وواثق من ذلك أن الجاحظ ليس بصاحب نظم، وإنما هو صاحب نثرٍ بليغ.

شعر للجاحظ للقاضي ابن أبي داود:

وَعَوِيصٍ مِنَ الْأُمُورِ بِهِيمٍ	غَامِضِ الشَّخْصِ مُظْلِمٍ مَسْتَوِرٍ
قَدْ تَسَنَّمْتُ مَا تَوَعَّرَ مِنْهُ	بَلَسَانٍ يُزِينُهُ التَّحْبِيرُ
مِثْلَ وَشَى الْبُرُودِ هَلَلَهُ النَّسْجُ	وَعِنْدَ الْحِجَاكِ دُرٌّ نَثِيرُ
حَسَنُ الصَّمْتِ وَالْمَقَاطِعِ إِمَّا	نَصَتَ الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ لَحْظَةٍ ثَوَرَتْ الْيُسْرَ	وَعَرَضَ مُهَدَّبٌ مَوْفُورُ

وكتب الجاحظ إلى أحمد بن داود:

لَا تَرَانِي وَإِنْ تَطَاوَلْتُ عَمَداً	بَيْنَ صَفِيهِمْ وَأَنْتَ تَسِيرُ
كُلُّهُمْ فَاضِلٌ عَلَيَّ بِمَالٍ	وَلَسَانِي يُزِينُهُ التَّحْبِيرُ
فَإِذَا ضَمْنَا الْحَدِيثَ وَبَيَّتْ	وَكَأَنِّي عَلَى الْجَمِيعِ أَمِيرُ
رُبَّ خَصَمٍ أَرَقَّ مِنْ كُلِّ رُوحٍ	وَلَفَرَطَ الذِّكَاكِ يَكَادُ يَطِيرُ
فَإِذَا رَامَ غَايَتِي فَهُوَ كَأَبٍ ⁽¹⁾	وَعَلَى الْبُعْدِ كَوَكَبٌ مَبْهُورُ ⁽²⁾

(1) الكابي: الساقط.

(2) المبهور: المغلوب بضوء غيره من الكواكب، وانظر معجم الأدباء (16 / 80 / 81).

وأنشد الجاحظ:

وَلَيْسَ يَزْجُرُكُمْ مَا تُوعِظُونَ بِهِ وَالْبِهَمُ يَزْجُرُهَا الرَّاعِي فَتَنْزَجُرُ⁽¹⁾

وانشد أبو العيناء للجاحظ شعراً قال فيه:

يطيب العيش أن تلقى حكيماً غداة العلم والظن المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل وفضل العلم يعرفه الأديب
سقام الحرص ليس له شفاء وداء الجهل ليس له طبيب

ونقل عن أبو بكر الجرجاني، قال: أنشدنا المبرد للجاحظ:

إن حال لون الرأس عن حاله ففي خضاب الرأس مستمتع
هب من له شيب له حيلة فما الذي يحتاله الأصلع⁽²⁾؟

الجاحظ وشعره في إبراهيم بن رباح:

قال أبو العيناء، عن إبراهيم بن رباح، قال: أتاني جماعة من الشعراء فأنشدوني، كل

واحدٍ منهم يدعي أنه مدحني بهذه الأبيات، وأعطي كل واحد منهم عليها وهي:
بَدَا حَيْنَ أَثَرِي بِإِخْوَانِهِ ففَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَاهَ الْعَدَمِ
وَذَكَرَهُ الدَّهْرُ صَرَفَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ قَبْلَ انْتِقَالِ النِّعَمِ
فَتَى خَصَّهُ اللَّهُ بِالْمُكْرَمَاتِ فَمَازَجَ مِنْهُ الْحَيَاءَ بِالْكَرَمِ
ولا ينكث الأرض عند السوأل يقطع زواره عن نعم

(1) المستظرف (1 / 104).

(2) تاريخ بغداد (10 / 159).

ويقال أن الجاحظ مدح بهذه الأبيات أحمد بن أبي داود، وإبراهيم بن رباح،

ومحمد بن الجهم⁽¹⁾.

قال أبو علي القالي - رحمه الله تعالى - أنشدنا أحمد بن يحيى النديم، قال:

أنشدنا الجاحظ عمرو بن بحر:

أَزَفَ الْبَيْنُ الْمُبِينِ	قَطَعَ الشَّكَّ الْيَقِينِ
حَنَّتِ الْعَيْسَ فَأَبْكَانِي	مَنْ الْعَيْسَ الْحَنِينِ
لَمْ أَكُنْ لَا كُنْتُ أَدْرِي	أَنْذَا الْبَيْنَ يَكُونِ
عَلِّمُونِي كَيْفَ أَشْتَاقُ	إِذَا خَفَ الْقَطِينِ ⁽²⁾

وقال أبو علي القالي - رحمه الله تعالى - : أنشدنا بعض أصحابنا قال: أنشدني عمرو

بن بحر الجاحظ:

أَنَا أَبُوكِي خَوْفَ الْفِرَاقِ لِأَنِّي	بِالَّذِي يَفْعَلُ الْفِرَاقُ عَلِيمِ
أَنَا مُسْتَيْقِنٌ بِأَنْ مَقَامِي	وَمَسِيرَ الْحَبِيبِ لَا يَسْتَقِيمُ ⁽³⁾

وقال أبو علي القالي: أنشدنا أبو محمد النحوي، قال: أنشدنا أبو العباس محمد بن

يزيد، قال: أنشدني عمرو بن بحر الجاحظ:

وإِنَّ عَنَاءَ أَنْ تُفْهَمَ جَاهِلًا	فِيحَسَبَ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ
مَتَى يُبْلَغُ الْبَيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ	إِذَا كُنْتَ بَنِيْتَهُ وَغَيْرَكَ يَهْدُمُ

(1) معجم الأدباء (16 / 81 / 82).

(2) الأمالي لأبي علي القالي (1 / 63).

(3) الأمالي لأبي علي القالي (1 / 168).

مَتَى يَنْتَهِي عَنْ سَيِّئٍ مِنْ أَتَى بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ عَلَيْهِ تَتَدُمُّ⁽¹⁾

وَأَنشَدَ الْجَاحِظُ لِسَهْلِ بْنِ هَارُونَ يَهْجُو بِهِ رَجُلًا:

مَنْ كَانَ يَعْمُرُ مَا شَادَتْ أَوَائِلُهُ فَأَنْتَ تَعْمُرُ مَا شَادُوا وَمَا سَمَكُوا⁽²⁾
مَا كَانَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَحْوِيَ فَعَالَهُمْ وَأَنْتَ تَحْوِي مِنَ الْمِيرَاثِ مَا تَرَكَوا⁽³⁾

وَأَنشَدَ أَبُو عَثْمَانَ الْجَاحِظُ لِأَعْرَابِي:

أَيُّنَ إِخْوَانِنَا عَلَى السَّارِءِ أَيُّنَ أَهْلِ الْقِبَابِ وَالدَّهْنَاءِ
جَاوَزْنَا وَالْأَرْضُ مَلْبَسُهُ نَوْرٌ أَقْصَاحٍ يَجْأَدُ بِالْأَنْوَاءِ
كُلَّ يَوْمٍ بِأَقْحَوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَغَاءِ السَّمَاءِ⁽⁴⁾

الجاحظ يهجو الجماز:

كان قد وقع بين الجاحظ والجماز أمراً، ويروى أنهما اجتمعا بالبصرة في مجلس، فقال له الجماز: كم ناراً في اللغة؟

فقال: نار الحب، ونار الشجر، ونار الحباب، ونار المعدة، والنار المعروفة.

فقال الجماز: تركت أبلغ النيران، قال: وما هي؟ قال:.....!!

قلت: فقال الجماز قولاً قبيحاً جداً في أم الجاحظ، ثم أن الجاحظ لم يسكت فرد

عليه بالمثل، فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولست أذكر ما قالوا، وأمرهما إلى الله.

(1) الأمالي لأبي علي القالي (2 / 94).

(2) سمكوا: رفعوا.

(3) زهر الآداب وثمر الألباب (2 / 317).

(4) العقد الفريد لابن عبد ربه (4 / 51).

وحصل أن هجا الجاحظ الجمار وكذلك الجمار رد على الجاحظ بهجاء.

قال يموت بن المزرع: هجا خالي أبو عثمان الجاحظ الجمار بأبيات منها:

نسب الجمار مقصور إليه منتهاهُ تنتهي الأحسابُ بالناسِ ولا تعدو قفاهُ

فكتب إليه الجمار:

يا فتىً نفسه إلى الكُفر بالله تائقة
لك في الفضل والتزهّد والنسكِ سابقة

ومن هجاء الجمار للجاحظ قوله:

قال عمرو مفاخرأ نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ
قُلْتُ في طاعةٍ لِرَبِّكَ أَبْلَيْتَ ذَا النَّسَبِ⁽¹⁾

وأنشد أبي كريمة البصري شعراً في الجاحظ فقال:

لم يظلم الله عمراً حين صيره من كل شي سوى آدابه عاري
ثبت حبال وصالي كفه قطعت لما استعنت به في بعض أوطاري
فكنت في طلبي من عنده فرجاً كالمستغيث من الرضاء بالنار
إني أعيذك والمعتاذ محترس من شؤم عمرو يعزّ الخالق الباري
فإن فعلت فحظ قد ظفرت به وإن أبيت فقد أعلنت أسراري

قلت: وللجاحظ قصائد أخرى قالها في آخر حياته وهو عليل، سنذكره في موضعه إن

شاء الله تعالى⁽²⁾.

(1) معجم الأدباء (16 / 82 - 83).

(2) تاريخ دمشق (45 / 442).

قال الجاحظ: رويت هذا البيت دهرًا لا أعرف له ثانيًا، فسمعت يوماً حماميًا يوقد

أتونه، وينشد معه:

هو القطب الذي دارت عليه رَحَى اللذات في الزمن القديم⁽¹⁾

وقال الجاحظ: كم بين قول امرئ القيس:

* تقول وقد مال الغبيط بنا معاً *

وبين قول علي بن الجهم:

سقى الله ليلاً ضمنا بعد هَجْعَةٍ وأدنى فؤاداً من فؤادٍ مُعَذِّبٍ
فبتنا جميعاً لو تُراقُ زُجاجة من الرّاح فيما بيننا لم تسربِ

وقال:

فبتنا على رغم الحسود كأننا خليطان من ماء الغمامة والخمر⁽²⁾

قال ابن نباته رحمه الله تعالى: وأورد للجاحظ - الشريف المرتضى - والعُهدَة عليه،

فإن هذا الشعر أرفع طبقة من شعره يذكر فيه الخصاب:

رُب فتاةٍ من بني هلال قد عجلت إليّ بالسؤالِ
مالي أراك قانيء السّبال كأنما كَرَعَت في جريالِ
ما يبتغي مُثلك من أمثالي تنح عن فكري وعن خيالي⁽³⁾

(1) محاضرات الأدباء (2 / 660).

(2) محاضرات الأدباء (3 / 227).

(3) سرح العيون ص 58 - ص 59.

ومن شعر الجاحظ أيضاً قوله:

وكم كان من أصدقاء له واعداء تفانوا فما خلدوا
تساقوا جميعاً كئوس الردى فمات الصديق ومات العدو⁽¹⁾

أعجاب الجاحظ بشعر الفرزدق:

قلت: كان الجاحظ كثير التعليق على كلام الشعراء، بل وينتقد ما يقولونه، ولهذا
كان الجاحظ يستحسن كلام في شعر الفرزدق وهو قوله:
وَأني سَفِيه النارِ للمَبْتَغى القِرَى وَأني حَلِيمُ الكَلْبِ للضيفِ يَطْرُقُ

كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله: «سفيه النار»، و«حليم الكلب»⁽²⁾.



(1) سرح العيون ص 58.
(2) ينظر سرح العيون ص 394.

باب

في نقده للشعر وتفسيره كلام الشعراء ورأيه في بعضهم

قال أبو دلف هاشم بن محمد الخُزاعي: تذاكروا يوماً شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ، إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها «ذات الأمثال» فأخذ بعض من حضر يُنشدّها حتى أتى على قوله:

يا للشبابِ المَرَحِ التصابي روائحُ الجنّةِ في الشَّبابِ

فقال الجاحظ للمنشد: قِفْ، ثم قال: أنظروا إلى قوله:

* روائحُ الجنّةِ في الشَّبابِ *

فإن له معنى كمعنى الطَّربِ الذي لا يقدر على معرفته إلاّ القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلاّ بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه⁽¹⁾.

قلت: هي أرجوزة طويلة، من إبداعات أبي العتاهية، تحوي على أربعة آلاف مثل.

قول الجاحظ في العباس بن الأحنف:

عن يموت بن المزرع قال: سمعت خالي [الجاحظ] يقول: لولا أنَّ العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم، وأوسعهم كلاماً وخاطراً، ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه، لأنه لا يهجو، ولا يمدح، ولا يتكسب ولا يتصرف، وما نعلم شاعراً لزم فناً واحداً لزومه، فأحسن فيه وأكثر⁽¹⁾.

وقال الجاحظ: سقى الله قبر الأحنف حيث يقول: ألزم الصحة يلزمك العمل⁽²⁾.

قول الجاحظ في الشعر القديم والمحدث:

قال الجاحظ: نظرنا في الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعاني تقلب وبعض يأخذ من بعض، وقل معنى من معاني الشعر القديم تفرد بإبداعه شاعرٌ إلا ورأيت من الشعراء من زاحمه فيه، وأشتق منه شيئاً، غير عنتره يصف دُباباً خلاً في دار عبلة، وذلك قوله:

وَحَلَا الدُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بَبَارِحٍ غَرِداً كَفَعَلَ الشَّارِبِ المِثْرَنِمِ
هَزَجاً يُحَكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَعَلَ المَكُوبِ عَلَى الزَّنَادِ الأَجْذَمِ

وقول أبي نواس من المحدثين:

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهأ تدريها بالقسيِّ الفوارسُ

(1) الأغاني (8 / 368).

(2) محاضرات الأدباء (1 / 594).

وقال يصفُ گرمًا:

لنا هجمة لا يدري الذئب سخلها ولا راعها رزُ الفحالة والخطرُ

قال الجاحظ: كنى عن الكرم بالإبل، وهو يعني الدنان، راعها رزُ الفحالة: صَوْتُ

الفحالة⁽¹⁾.

قال الجاحظ: قال الشاعر:

ألم تر أن الزُّبدَ بالتمر طيبٌ وأن الحُبَّارِي خاله الكروان

قال عمرو بن بحر الجاحظ: العامة لا تشك بأن الكروان ابن الحُبَّارِي⁽²⁾.

أنسب العرب عند الجاحظ:

روى أحمد بن فارس المنبجي، عن عبيد الله بن يحيى بن البحتري، قال: حدثنا أبي

عن جماعة من أهل العلم والأدب، منهم يُموتُ بن المزرع قال: قلت لأبي عثمان الجاحظ:

من أنسب العرب؟ فقال الذي يقول:

عَجِلْتُ إلى فضْلِ الخِمَارِ فَأَثَرْتُ عَذَنَاتَهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْيِيلِ⁽³⁾

قلت: والقصيدة للبحتري.

قول الجاحظ في أم المراثي:

قل لعمرو بن بحر الجاحظ: إن الأصمعي، كان يُسمِّي هذا الشعر أم المراثي.

(1) الأغاني (25 / 32 / 33).

(2) بهجة المجالس (3 / 77).

(3) أمالي المرتضى (2 / 40).

فقال الجاحظ: لم يسمع الأصمعي:
أَيُّ الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ يَنْصَدِعُ وَأَيُّ نَوْمٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ⁽¹⁾

قلت: والقصيدة التي تسمى أم المراثي هي التي أولها:
لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَلَمَ فَأَوْجَعَا

وهي ملتمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا.

قول الجاحظ في الشعر المجهول:

قال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهولاً لقائل، قيل في ليلى إلا نسبوه المجنون، ولا شعراً هذه سبيله قيل لبني إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح⁽²⁾.

قول الجاحظ في الشاعر بشار بن برد:

قال الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» وقد ذكره: يعني بشار بن برد - كان بشار شاعر خطيباً منشور ومزدوج، وسجع، ورسائل، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتنين في الشعر، القائلين في أكثر أجناسه، وضروبه، قال الشعر في حياة جرير، وتعرض له، وحكي عنه أنه قال: هجوت جريراً، فأعرض عني، ولو هجاني لكنت أشعر الناس⁽³⁾.

قلت: وفي شعر بشار ما هو قبيح، وهو متهم في دينه، وكان يتعاطى الخمر، ويصاحب أهل الفسق والمجون، وله مع الإمام الشيخ الحسن البصري موقف، ذكرناه في كتابنا «الزخرف القصري في مناقب الحسن البصري».

(1) العقد الفريد (3 / 209).

(2) الأغاني (2 / 10).

(3) الأغاني (3 / 137).

قول الجاحظ في مراتب الشعراء:

قال الجاحظ: يُقال للمجيد: فحل، ولمن دون: مفلق، ثم شاعر ثم شويعر ثم

شعرور⁽¹⁾.

قوله في المطبوعون على الشعر:

يقول الجاحظ في المطبوعون على الشعر من المولدين: بشار العقيلي والسيد

الحميري، وأبو العتاهية، وابن أبي عيينة⁽²⁾.

قول الجاحظ في بيت للأعشى:

قال الجاحظ: كان العلماء يستجيدون بيت للأعشى:

لُعْمِرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونُ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تُحَرِّقُ
تُشَبُّ لِمَقْرُورِينَ يَصْطَلِيَانَهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحْلَقُ

حتى قال الحطئية:

مَتَى تَأْتِهِ تَعَشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

فحينئذٍ فضلوا هذا، وصار لحسنه ناسخاً لبيت الأعشى⁽³⁾.

تفسيره معنى كلام «يَا مَاصَّ بَظَرَ أُمِّهِ»:

وقال الجاحظ: معنى قول القائل «يَا مَاصَّ بَظَرَ أُمِّهِ» يعني: آكلًا مهر أمه من غير

أبيه.

(1) محاضرات الأدباء (1 / 194).

(2) كتاب الأوراق لأبي بكر الصولي (12/1).

(3) محاضرات الأدباء (722/1).

قول الجاحظ في اختلاف الكميت والطرماح:

قال الجاحظ: لم يُرَ أعجب حالاً من الكميت والطرماح، فإن الكميت كان عدنانياً شيعياً يتعصب لأهل الكوفة والطرماح كان قحطانياً خارجياً يتعصب لأهل الشام، وكان بينهما من المخالطة ما لم يكن بين اثنين قط، ولم تجر بينهما جفوة ولا قطيعة ولا اعتراض، وقيل لهما: كيف اتفقتما مع الخلاف الذي بينكما؟ فقالا: اتفقنا على بعض العامة. ووصفهما جعفر المصري فقال:

فَنَحْنُ مِنْ وَدٍ وَحُبِّ كَمَا كَانَ كَمَيْتٌ وَالطَّرْمَاخُ⁽¹⁾

تعليق الجاحظ على أبيات لأبي نواس:

كان الجاحظ يقول: لا أعرف من كلام الشعراء كلاماً هو ارفع، ولا أحسن من قول أبي نواس:

أَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ	أَيُّ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ
وَنَاصِحٍ لَوْ حَذَرَ النَّاصِحُ	لِلَّهِ دُرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ
وَمِنْهُجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحُ	يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا إِتْبَاعَ الْهَوَى
مُهُورُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ	فَاعْمَدْ بِعَيْنِكَ إِلَى نَسْوَةٍ
إِلَّا أُمُورُ مِيزَانِهِ رَاجِحُ	لَا يَجْتَلِي الْعِذْرَاءُ فِي خَدْرِهَا
سَيِّقَ إِلَيْهِ الْمُتَجَرُّ الْمَرَابِحُ	مَنْ اتَّقَى اللَّهَ فَذَاكَ الَّذِي
وَرُوحَ مِمَّا أَنْتَ لَهُ رَائِحُ ⁽²⁾	فَاغْدُ فَمَا فِي الدِّينِ أَغْلُوطَةٌ

(1) محاضرات الأدباء (20/3).

(2) الأغاني (25 / 167).

قلت: وللجاحظ تقرّظ في أبي نواس وشعره: قال الجاحظ: أبو نواس حلّ من الطبع بحيث يصل شعره إلى القلب بغير إذن.

وقال أيضاً: ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس⁽¹⁾.

كلام الجاحظ في الاسم المظلوم:

قال أبي الفضل جمال الدين بن منظور: كان الجاحظ يزعم أن عمراً أرشق الأسماء وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجاً وكان يسميه الاسم المظلوم، لإلزامهم به الواو التي ليس منه، ولا فيه دليل عليها ولا إشارة إليها، ويزعم أن هذا الاسم لم يقع في الجاهلية إلا على فارس مذكور، أو ملك مشهور، أو رئيس مطاع، أو سيد متبوع، ويعد جماعة من ذلك، وأنشد على ذلك لأبي نواس يهجو أسجع السلمي:

أَيُّهَا الْمُدْعَى وَلَاءُ سَلِيمٍ لَسْتُ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةٌ ظُفْرِ
أَنْتَ فِيهَا مُسْتَلْحَقٌ مِثْلُ وَائِ أَلْحَقْتُ فِي الْكِتَابِ بَعْمَرُو⁽²⁾

الجاحظ يصف بلادة كيسان مستملي أبو عبيدة:

كان كيسان يوصف بالبلادة والغفلة قال عنه الجاحظ: كان يكتب غير ما يسمع ويستقني غير ما يكتب، ويقرأ غير ما يستقني، ويُملي غير ما يقرأ، أمليت عليه يوماً:

عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ عَدَلُوا بِمَعْتَمِرٍ أَبَا عَمَرٍ

فكتب أبا بشر، وأقرأ أبا حفص، واستقني أبا زيد⁽³⁾.

(1) الأغاني (5 / 25).

(2) الأغاني (148 / 25).

(3) زهر الآداب وثمر اللباب (1 / 191).

أجمع الناس على أربع:

قال الجاحظ: أجمع الناس على أربع: أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى، ولا أبغض من أعور، ولا أخف روحاً من أحول، ولا أقود من أحذب⁽¹⁾.

تعليق الجاحظ على كلام خالد بن صفوان:

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب. فقال: ما تقول في أخوالي؟ فقال: هم هامة الشرف وعرين الكرم، وغرس الجود، إنَّ فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم، إنهم لأطولهم أمماً، وأكرمهم شيماً وأطيبهم طعماً، وأوفاهم ذمماً، وأبعدهم همماً، الجمرة في الحرب، والرغد في الجَدب، والرأس في كل خطب، وغيرهم بمنزلة العجب. فقال: وضعت يا أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر فغضب أبو العباس لأعمامه، فقال: أفخرياً يا خالد؟ قال: أعلى أخوال أمير المؤمنين ! قال: وأنت من أعمامه؟ قال: كيف أفاخر قوماً هم بيت ناسج بُرد، وسائس قِرْدٍ ودابغ جُلْد دَلِّ عليهم هُدْهد وعرقهم جُرْد، وملكتهم أم ولد فأشرق وجه أبي العباس.

قال يموت ابن المزرع: سمعت خالي الجاحظ وذكر كلام خالد هذا فقال: والله لو فكر في جمع معاييهم واختصار اللفظ في مثالبهم بعد ذلك المدح المِهْدَبَ سنةً لكان قليلاً، فكيف على بديهته لم يرض له فكراً⁽²⁾.

وفي رواية أخرى: فقال الجاحظ وقد بلغه مقاله: لئن يفكر في هذا الكلام وأعدده إنه لرواية كبير ولئن حضره حين حرك فماله في العالمين نظير⁽³⁾.

(1) معجم الأدباء (84/16).

(2) زهر الآداب وثمر الألباب (3 / 220).

(3) محاضرات الأدباء (2 / 344).

تعليقه على خبر:

يروى أن خالد بن يزيد دخل دار عبد الملك وكان يسحب ثيابه، فقام إليه عبد الرحمن بن الضحاك يتلقاه معظماً له، فقال له: بابي أنت وأمي، لِمَ تطعم الأرض فضول ثيابك؟ فقال: إني أكره أن أكون كما قال الشاعر: - وهو علي بن عبد العزيز كما جاء في محاضرات الأدباء - :

قَصِيرُ الثَّيَابِ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَشَرُّ قُرَيْشٍ مُرْغَبًا

وهذا البيت هُجِّي به الضحاك.

قال الجاحظ: لو لم يتكلف ما لا يعنيه لم يسمع هذا الجواب⁽¹⁾.

تعليقه على كلام فيه سجع لأعرابية:

قال الجاحظ: ومن الأسجاع الحسنة: قول الأعرابي حين خاصمت ابنها إلى عامل الماء: أما كان بطني لك وعاء؟ أما كان حجري لك فناء؟ أما كان ثديي لك سقاء⁽²⁾؟
تقريظ العتاي:

قال أبو عثمان الجاحظ: كان العتاي ممن جمع له الخطابة والبيان والشعر الجيد والرسائل الفاخرة وعلى ألفاظه وحِدوه يقول في البديع جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الأنصاري

(1) نثر الدر (3 / 40).

(2) نثر الدر (4 / 54).

وأشباههما، وكان العتابي يحتذي حذو بشارٍ في البديع ولم يكن في المولدين أجود بديعاً من بشار وابن هرمة⁽¹⁾.

كلام الجاحظ في مذهب الأعشى وليد:

قال الجاحظ: من العجائب أن الأعشى كان في الجاهلية يعتقد مذهب المعتزلة، فيقول:

استأثر الله بالوفاء وبالحمدِ ووَلَى المَلَأمة الرجل

وليد يذهب مذهب أهل السنة والجماعة فيقول:

* وياذن الله ريثي وعجل⁽²⁾ *



(1) زهر الآداب وثمر الألباب (3 / 51).

(2) خاص الخاص للثعالبي ص 101.

باب

في كلام الجاحظ في شتى فنون العلم من أدب ولغة وغيرها

قال قوله فيما ينبغي للكاتب:

الجاحظ: ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي اللسان، عذب ينباع البيان إذا حاور
سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى لا يكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام
العامة⁽¹⁾.

نهي عن مجالس الحمقى:

قال الجاحظ: لا تجالس الحمقى، فإنه يعلق بك من مجالستهم يوماً من الفساد
ملا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرًا من الصلاح، فالفساد أشدُّ التحامًا بالطبائع⁽²⁾.
قوله فيما يحتاج إليه الخطيب:

قال الجاحظ: يجب أن يفرق بين صدر خطبه النكاح، وخطبة العيد، وخطبة الصلح،
وكانوا يمدحون الجهر الصوت ويذمون ضئله⁽³⁾.

(1) معجم الأدباء (16 / 87).

(2) محاضرات الأدباء (1 / 21).

(3) محاضرات الأدباء (1 / 279).

قوله فيما يكره في الخطباء:

قال الجاحظ: ثم اعلم أبقاك الله، أن صاحب التشديق⁽¹⁾، والتقعير⁽²⁾ والتقعيب⁽³⁾ من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف، وشنعة التزيد أعذر من عي يتكلف الخطابة، ومن حصر يتعرض لأهل الاعتياد والدربة. ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغةً يخالطها التكلف، وبياناً يمازجه التزيد إلا أن تعاطي الحصر المنقوص، مقام الدرب التام، أقبح من تعاطي البليغ الخطيب، ومن تشادق الأعرابي القح⁽⁴⁾.

من أشتهر بالخطابة من الشعراء:

قال أبو عثمان الجاحظ: وفي الخطباء من يكون شاعراً ويكون إذا تحدث أو وصف أو احتج بليغاً مفهوماً بليغاً.

وربما كان خطيباً فقط، وشاعراً فقط، وبين اللسان فقط، ومن الشعراء الخطباء الأبياء الحكماء قُسُ بن ساعدة الأيادي.

والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم، ومن يجمع الخطابة والشعر قليل، ومنهم عمرو بن الأهتم المنقري وهو المكحل، قالوا: كأن شعره في مجالس الملوك حُلُّ فشرة⁽⁵⁾.

(1) التشديق: التكلف في البلاغة.

(2) التقعير: النطق بأقصى الحلق.

(3) التقعيب: تقصير الكلام.

(4) الأعرابي القح: خالص العروبة. ينظر البيان والتبيين (1 / 15).

(5) البيان والتبيين (1 / 38).

منزلة اللفظ من المعنى عند الجاحظ:

قال أبو عثمان الجاحظ: قال بعض جهابذة الألفاظ ونُقّاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس المختلجة في نفوسهم والمتصورة في أذهانهم المتصلة بخواطيرهم والحادثة عن فكرهم ومستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وأخبارهم عنها، واستعمالهم إياها.

وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهداً، والبعيد قريباً وهي التي تلخص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً، والوحشي مألوفاً، والعقل موسوماً، والموسوم معلوماً، وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون ظهور المعنى.

وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، كانت الإشارة أبين وأنور، كانت أنفع وأنجع في البيان، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه ويدعوا إليه، ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم.

البيان عند الجاحظ:

قال الجاحظ: والبيان أسم لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى، وهتك لك الحجب دون الضمير، حتى يقضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصله،

كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع⁽¹⁾.

منزلة صناعة الكلام:

قال الجاحظ: صناعة الكلام علق نفيس، وجوهر ثمين، هو الكنز الذي لا يفنى ولا يبلى، والصاحب الذي لا يمل ولا يقل، وهو العيار على كل صناعة، والزمائم بكلمة عبارة، والقسطاس الذي به يستبين نقص كل شيء ورُجحانه، والراووف الذي يعرف به صفاء كل شيء وكدره، والذي كل علم عليه عيال، وهو لكل تحصيل آله ومثال⁽²⁾.

في مدح العروض وذمها:

وقد مدح الجاحظ العروض وذمها، فقال في مدحها: العروض ميزان، ومعارض بها يعرف الصحيح من السقيم، والعليل من السليم، وعليها مدار الشعر، و بها يسلم من الأود والكسر.

وقال في ذمها: هو علم مولد، وأدب مستبرد، ومذهب مرفوض، وكلام مجهول، يستنكر العقل بمستفعلن وفعلول، من غير فائدة ولا محصول⁽³⁾.

(1) زهر الآداب وثمر الألباب (1 / 143 / 144).

(2) زهر الآداب وثمر الألباب (4 / 20).

(3) زهر الآداب وثمر الألباب (3 / 71).

فضل الكتابة:

قال أبو عثمان الجاحظ: ما رأيتُ قوماً أنفذ طريقة في الأدب، من هؤلاء الكتاب، فإنهم التمسوا من الألفاظ، ما لم يكن متوعراً وحشياً، ولا ساقطاً سوقياً⁽¹⁾.

وصفه للبلاغة:

ومن كلام الجاحظ يصف البلاغة: ومتى شاكل - أبقاك الله - اللفظ معناه، وكان لذلك الحال وفقاً ولذلك القدر لفقاً، وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف، كان قمناً بحسن الموقع، وحقيقياً بانتفاع المستمع، وجديراً أن يمنع جانبه من تأول الطاعنين، ويمحى عرضه من اعتراض العابئين، ولا يزال القلوب به معمورة، والصدور به مأهولة ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متخيراً من جنسه، وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حُبب إلى النفوس، وأتصل بالأذهان والتحم بالعقول، وهشت له الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس، ورياضة للمتعلم الرّيش ومن أعاره من معرفته نصيباً، وأفرغ عليه من محبته ذنوباً، حُبب إليه المعاني وسلس له بطعام اللفظ، وكان قد أغنى المستمع عن كد التكلف، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم⁽²⁾.

كلام الجاحظ في بعض أعلام الأدب:

قال الجاحظ في بعض أعلام الأدب، موصفاً إياهم بالندماء، متهمين في دينهم: كان والبة ابن الحباب، ومطيع بن إياس، ومنقذ بن عبدالرحمن الهلالي،

(1) العقد الفريد (4 / 28).

(2) معجم الأدباء (94 / 95).

وحفص بن أبي وردة، وابن المقفع، ويونس بن أبي فروة، وحماد عجرد، وعلي بن الخليل، وحماد بن أبي ليلى الراوية، وابن الزبرقان، وعمارة بن حمزة، ويزيد بن الفيض، وجميل بن محفوظ، وبشار المرعث، وأبان اللاحقي ندماء، يجتمعون على الشراب وقول الشعر، ولا يكادون يفترقون، ويهجو بعضهم بعضاً، هزلاً وعمداً، وكلهم متهم في دينه⁽¹⁾.

العشق والحب، والسرف، والبخل، والجبن، والهوج عند الجاحظ:

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ: سَمِعْتُ الْجَاحِظَ يَقُولُ: كُلُّ عَشْقٍ يُسَمَّى حُبًّا، وَلَيْسَ كُلُّ حُبٍّ يُسَمَّى عَشْقًا، لَأَنَّ الْعَشْقَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنِ الْمَحَبَّةِ، كَمَا أَنَّ السَّرْفَ اسْمٌ لِمَا جَاوَزَ الْجُودَ، وَالْبُخْلُ اسْمٌ لِمَا قَصَرَ عَنِ الْاِقْتِصَادِ، وَالْجُبْنَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنِ شِدَّةِ الْاِحْتِرَاسِ، وَالْهَوْجَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنِ الشَّجَاعَةِ⁽²⁾.

فيما يجب للرجل أن يكون:

عن يموت بن المزرع، عن خاله الجاحظ، قال: يجب للرجل أن يكون سخيًّا، لا يبلغ التبذير، شجاعاً لا يبلغ الهوج، محتسباً لا يبلغ الجبن، ماضياً لا يبلغ القحة، قوالاً لا يبلغ الهذر، صموتاً لا يبلغ العي، حليماً لا يبلغ الذل منتصراً لا يبلغ الظلم وقوراً لا يبلغ البلادة، ناقداً لا يبلغ الطيش، ثم وجدنا رسول الله ﷺ قد جمع ذلك في كلمة واحدة وهي قوله: «خير الأمور أوساطها» فعلمنا أنه ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، وعلم فصل الخطاب⁽³⁾.

(1) الأغاني (18 / 106).

(2) معجم الأدباء (16 / 88).

(3) معجم الأدباء (16 / 110).

قول حسن للجاحظ:

قال أبو زيد البلخي: ما أحسن ما قال الجاحظ: عقل المنشئ مشغول، وعقل المتصفح فارغ⁽¹⁾.

قوله في أحسن ما قيل في المشورة:

قال الجاحظ: أحسن ما قيل في المشورة قول بشار:
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم⁽²⁾

قول الجاحظ في العقل:

قال الجاحظ: العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطأ، وإيثاره إذا اقترنا في زمان، وكان العلم علة للعمل وقيداً له، فإذا دعا الرجل علمه بالمحاسن إلى العمل بها، ونهاه علمه بالمساوئ عن العمل بها صار قيداً لعمله، وكان كالعقال لما أستحسنه، فإذا عقله عليه وحبسه كما يحبس الجمل، قالوا: هذا عاقل⁽³⁾.

فسحة العقل عند الجاحظ:

قال الجاحظ: لا يزال المرء في فسحة من عقله، ما لم يقل شعراً أو يصنف كتاباً⁽⁴⁾.

(1) معجم الأدباء (16 / 111).

(2) محاضرات الأدباء (1 / 53).

(3) شرح العيون لابن نباته المصري ص 26.

(4) محاضرات الأدباء (1 / 83).

ليس كل معلم تطلق عليه حماقة:

قال الجاحظ: المعلمون على ضربين: منهم من ارتفعوا عن أولاد العامة إلى تعليم أولاد الملوك، والمرشحين للخلافة كالكسائي، وقطرب، وحماد، وعبد الصمد، فهؤلاء لا تجوز عليهم حماقة، وإن لكل قوم حاشيةً وجهالاً وسفلاً⁽¹⁾.

قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ:

نقل عن أحمد بن صدقه قال: سمعت الجاحظ يقول: قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ خيرٌ من كثير وافق من الأسماع نبوةً ومن القلوب ملالة⁽²⁾.

خمس يضمن:

ونقل عن الحسن بن علي بن زفر قال: سمعت عمرو بن بحر الجاحظ قال: خمس يضمن: سراج لا يضيء، ورسول بطيء، وطعام ينتظر به، وإبريق يسيل، وبيت يكف⁽³⁾.

وصفه اللسان:

ونقل عن أبا سعيد الجند يسابوري قال: سمعتُ الجاحظ يصف اللسان قال: هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يعبر عن الضمير، وحاكم يفصل الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ ينهي عن القبيح، ومعرّز يرد الأحران، ومعتذر يرفع الضغينة، وملة يوثق

(1) محاضرات الأدباء (1 / 113).

(2) تاريخ دمشق (45 / 435).

(3) تاريخ دمشق (45 / 435).

الأسماع، وزارع يحدث المودة، وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد، ومادح يستحق الزلفة، ومؤنس يذهب بالوحشة⁽¹⁾.

قول الجاحظ في نفع الكتب:

ذكر الجاحظ الكتب فقال: نعم الدُّخْرُ والعُدَّةُ، والجليس والقعدة، والمشتغل والحرفة، ونعم القرين والدخيل، والوزير والنزيل، والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، يطيل إمتاعك ويشحذ طباعك⁽²⁾.

كلام الجاحظ في مدح من يصدق في قوله:

قال الجاحظ: أخبرني فلان، وهو الكذب لا يأخذان في طريق، وكان يقشعر من الكذب.

قوله فيمن قابل الإساءة بالإحسان:

قال الجاحظ: من قابل الإساءة بالإحسان فقد خالف الرب في تدبيره، وظن أن رحمته فوق رحمة الله تعالى، فالناس لا يصلحون، إلا على الثواب والعقاب.

الحسد وضرره على صاحبه:

قال الجاحظ: من العدل المحض والإنصاف الصريح أن تحط عن الحاسد نصف عقابه، لأن ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك عليه⁽³⁾.

(1) تاريخ دمشق (435 / 45)

(2) محاضرات الأدباء (1 / 238).

(3) محاضرات الأدباء (1 / 245 - 498 - 520).

قوله في التلون:

قال الجاحظ: التلون أن يكون سرعة رجوع المرء عن الصواب كسرعة رجوعه عن الخطأ⁽¹⁾.

حال ينبئ بالمقال:

قال الجاحظ: نحن نزخرف باللسان والناس يقضون بالعيان، وفي أمرنا أثر ينطق عنا ويتكلم إذا سكتنا⁽²⁾.

شكر الشكر:

قال الجاحظ: شرّ الشكر ثناء المواجهة لك المسرف في مدحك، وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك⁽³⁾.

النصرانية أخبث من اليهودية:

قال الجاحظ: النصرانية أخبث من اليهودية، وإن كانت أنظف ثوباً ومهنة، لأنها قلف، ولا تغتسل من جنابة، وتأكل لحم الخنزير ولا تطهر نساؤهم من جنابة وحيض ونفاس، ويغشاها في الطمث، ولا يحصل قولهم في المسيح، ولما جعلوا ربهم بشراً تواجدوا به حتى عاد حبهم عشقاً للمشاكلة بين الطبائع، وما ظنك بشوق من يطمع في مجالسة ربه ومحادثة خالقه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(1) محاضرات الأدباء (1 / 581).

(2) محاضرات الأدباء (2 / 13).

(3) محاضرات الأدباء (2 / 22).

بقايا بني إسرائيل:

قال الجاحظ: ومتى أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى بقاياهم، هل لهم حكمة أو مثل أو شعر، ثم أنظر إلى أولادهم مع طول لبثهم معنا، هل تغيرت بذلك أخلاقهم، وشماثلهم وأحلامهم وآدابهم، وفطنهم ثم من غباوتهم ما حكى الله تعالى عنهم في قولهم: ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة﴾ [الأعراف: 138] وكقولهم: ﴿أرنا الله جهرة﴾ [النساء: 153] وكقولهم: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ [المائدة: 24] وآياتهم انقطعت بموتهم وعرفها من بعدهم بأخبار سلفهم، وجعل من معجزات نبينا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأشرك الله تعالى فيه الخلف والسلف، وجعله باقياً علي مرور الأزمان، وبعد الأحوال⁽¹⁾.

بخلا يسرفون في الإنفاق على البناء:

قال الجاحظ: رأيت بخلاء في غاية البخل يسرفون في الإنفاق على البناء. وسألت بعض البخلاء، وقد أنفق مالا على دار: إي شيء أصعب مما مرّ عليك في بنائها. فقال: معاملة العمال. وكنت أحسب أن يقول: إخراج الدراهم⁽²⁾.

قلت: هذا الصنف من البخلاء، قد يبنون بدارهم غيرهم، ولهذا لا يبالون بكم أنفقوا

في البناء، والله أعلم.

من توليد الروافض:

وروي أنه وقع بين حيين منازعة فخرجت [أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها]،

وقالت: ائتوني ببغلة أركبها وأصلح بينهما.

(1) محاضرات الأدباء (4 / 142 - 161).

(2) محاضرات الأدباء (4 / 538).

فقال ابن أبي عتيق: ما غسلنا رؤوسنا من الجمل، فكيف توقيعنا بهم يوم البغلة.

قال الجاحظ: وهذا الحديث من توليد الروافض، فأما عائشة رضي الله عنها فكان أمرها أنفذ من أن تحتاج أن تركب، وأي شيء يتفاقم حتى تحتاج عائشة فيه إلى الركوب، ثم لا يعرف خبره.

قلت: هذا قول الجاحظ في هذه الرواية، ولم نقرأ لأحد من الأئمة كالذهبي أو غيره علق عليها، فابن أبي عتيق له أخبار مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيها ظرف، ومعروف عنه ذلك قد ذكرته في كتابنا «السيرة المعطرة في مناقب أم المؤمنين عائشة».

ويمكن القول أن ابن أبي عتيق في هذه الرواية قصد إلى التفكه كعادته مع خالته أم المؤمنين وليس تعيير أو تنذر بها.

وعلى كل حال فأم المؤمنين كانت عظيمة الشأن الكل يعظمها رضي الله عنها وقد سقتُ لها من الأخبار ما هو كافٍ إن شاء الله تعالى في حقها، والجاحظ كان شديد العداوة للروافض وله رسالة في ذلك.

الفرس العربي:

قال الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيال ولا أعلم بها ولا أشد إشاراً لها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان، ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا: فرس عربي ولم يقولوا: هندي، ولا رومي، ولا فارسي⁽¹⁾.

(1) محاضرات الأدباء (4 / 625).

تعقيب الجاحظ على كلام علي بن أبي طالب عليه السلام:

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: الدنيا بالأموال، والآخرة بالأعمال، لا تخافن إلا ذنبك، ولا ترجون إلا ربك، وجهوا آمالكم إلى من تحبه قلوبكم، الناس من خوف الذل في ذل، من أيقن بالخلف جاد بالعطية بقية السفى أئمى عدداً، وأنجب ولداً.

فقال أبو عثمان الجاحظ: وقد ذكر هذه الكلمة في كتاب البيان، فلم لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزية مغنية، بل كثيرة، ومعناه ظاهراً في لفظه، وكأن الله قد ألبسه من ثياب الجلالة، وغشاه من نور الحكمة علي حسب نية صاحبه، وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريف، واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع، بعيداً عن الاستكراه منزهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحابها الله عز وجل من التوفيق، ومنحها من التأيد، ما لم يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة⁽¹⁾.

فصل لأبي عثمان الجاحظ في ذكر قريش وبني هاشم:

قال الجاحظ: قد علم الناس كيف كر قريش وسخاؤها، وكيف عقولها ودهاؤها وكيف رأيها وذكاؤها وكيف سياستها وتدبيرها وكيف إيجازها وتحبيرها وكيف رجاحة أحلامها إذا خف الحليم، وحدة أذهانها إذا كل الحديد،

(1) زهر الآداب وثمر الألباب (1 / 72).

وكيف صبرها عند اللقاء وثباتها في الأواء، وكيف وفاؤها إذا أסתحسن الغدر، وكيف جودها إذا حُبَّ المال، وكيف ذكرها لأحاديث غدٍ، وقلة صدودها على جهة القصد، وكيف أقرارها بالحق، وصبرها عليه، وكيف وصفها له ودعاؤها إليه وكيف سماحة أخلاقها، وصونها لأعراقها، وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم، وطريفهم بتليدهم، وكيف أشبه علانيتهم سرهم وقولهم فعلهم. وهل سلامة صدر أحدهم إلا على قدر بُعد غوره؟ وهل غفلته إلا في وزن صدق ظنه، وهل ظنه إلا كيقين غيره؟ بل قد علم الناس كيف جمالها وقوامها، وكيف نماؤها وبهاؤها، وكيف سروها ونجابتها، وكيف بيانها وجهارتها، وكيف تفكيرها وبداهتها، فالعرب كالبدن وقريش روحها، وقريش روح وبنو هاشم سرها ولبها، وموضع غاية الدين والدنيا منها، وبنو هاشم ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلى العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وسير كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم، وثهلان ذو الهضاب في الحلم، والسيف الحسام في العزم، مع الأناة والحزم، والصفح عن الجرم، والقصد عند المعرفة، والعفو بعد المقدرة، وهم الأنف المقدم، والسنام الأكرم، وكالماء الذي لا ينجسه شيء، وكالشمس التي لا تخفى بكل مكان، وكالذهب الذي لا يعرف بالنقصان، وكالنجم للحيوان، والبارد للضمان، ومنهم الثقلان، والشهيدان والأطيبان، والسبطان⁽¹⁾، وأسد الله⁽²⁾، وذو الجناحين⁽³⁾، وذو قرنيها، وسيد

(1) السبطان: هما الحسن والحسين عليهما السلام.

(2) أسد الله: حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ.

(3) وذو الجناحين: جعفر بن أبي طالب شهيد يوم مؤتة.

الوادي، وساقى الحجيج، وحليم البطحاء، والبحر⁽¹⁾، والحبر، والأنصار أنصارهم، والمهجرين من هاجر إليهم ومعهم، والصديق من صدقهم⁽²⁾، والفاروق⁽³⁾ من فرق بين الحق والباطل فيهم، والحواري حواريههم، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم، ولا خير إلا لهم أو فيهم أو معهم، أو يضاف إليهم، وكيف لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين، وإمام الأولين والآخرين، ونجيب المرسلين، وخاتم النبيين، الذي لم يتم لنبي نبوة إلا بعد التصديق به، والبشارة بمحبته، الذي عم برسالته ما بين الخافقين، وأظهره الله علي الدين كله ولو كره المشركون⁽⁴⁾؟

إياس بن معاوية والأطناب:

كان أبو وائلة إياس بن معاوية على تقدمه في البلاغة، وفضل عقله وعلمه بالإكثار معيباً، وإلى التطويل منسوباً، وقال له عبد الله بن شبرمة: أنا وأنت لا نتفق، أنت لا تشتهي أن تسكت، وأنا لا أشتهي أن أسمع. وقيل له: ما فيك عيب إلا كثرة كلامك. قال: أسمعون صواباً أم خطأ؟ قالوا: بل صواباً، قال: فالزيادة في الخير خير.

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولوالديه: لطالما تسمعون قولي صواباً فلا بأس في التطويل، يبدوا هذا رأيهم. أم الجاحظ فله رأياً آخر، فيرد عليه أبو

(1) الحبر: هو عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(2) يعني أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(3) الفاروق: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(4) زهر الآداب وثمر الألباب (1 / 87 - 88).

عثمان: وليس كما قال، بل للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والكلال، فذلك هو الفضال والهذر والخطل والإسهاب الذي سمعت الخطباء يعيبونه⁽¹⁾.

قلت: كذا الجاحظ يقول، بل أنه يكره الأطناب في الكلام، من خطبة أو موعظة، بل أنه يكره التكلف أيضاً. وله في ذلك كلام في البيان والتبيين.

ما ينبغي للفتى أن يكون:

قال أبو عثمان الجاحظ: لا ينبغي للفتى أن يكون مكحلاً، ولا مقبباً، ولا مكوكباً، ولا شكامداً، ولا حرامداً، ولا تقداماً، ثم فسرّه فقال: أما المكحل، فالذي يتعرق العظم حتى يدعه كأنه مكحلة عاج، والمقرب الذي يركب اللحم بين يديه حتى يجعله كأنه قبة، والموكب، الذي يبصق في الطست وينخم فيها حتى يصير بصاقه كأنه الكواكب في الطست.

والحرامد الذي يأتي في وقت الغداء والعشاء فيقول: ما تأكلون؟ فيقولون من بغضه: سماً. فيدخل يده ويقول: في حرِّ أم العيش بعدكم.

والشكامد الذي يتبع اللقمة بأخرى قبل أن يسقيها فيخنق، كأنه ديك قد أبتلع فأره.

والتقامد الذي يضع الطعام بين يديه ويأكل من بين يدي غيره⁽²⁾.

(1) زهر الآداب وثمر الألباب (1 / 195).

(2) العقد الفريد (2 / 269).

الجاحظ وشماته الأعداء:

قال الجاحظ: ما رأيت سناناً أنفذ من شماته الأعداء⁽¹⁾.

المفاضلة بين الصمت والكلام:

قال الجاحظ: كيف يكون الصمت أنفع من الكلام، ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه، ونفع الكلام يعم ويخص، والرواة لم تروِ سكوت الصامتين، كما روت كلام الناطقين، فبالكلام أرسل الله تعالى أنبياءه لا بالصمت، ومواضع الصمت المحموده قليلة، ومواطن الكلام المحموده كثيرة، وبطول الصمت يفسد البيان، وكان يقال: محادثة الرجال تلقيح لألبابها⁽²⁾.

أنشد الناس وأشعرهم عند الجاحظ:

قيل للجاحظ: من أنشد الناس وأشعرهم؟ قال: الذي يقول: وأنشد هذه الأبيات:
كأن ثيابه أطلعن من أزراه قمرأ⁽³⁾

قلت: والبيت لأبي نواس.

البخل والجبن:

قال أبو عثمان الجاحظ: البخل والجبن غريزة واحدة، يجمعهما سوء الظن بالله.

والبخل يهدم مباني الشرف⁽⁴⁾.

(1) المستطرف (1 / 219).

(2) زهر الآداب وثمر الألباب (3 / 114).

(3) زهر الآداب وثمر الألباب (3 / 202).

(4) زهر الآداب وثمر الألباب (4 / 194).

قال أبو الحسن الدهماني غفر الله له ولوالديه: يقال للسخي، سخي بعطائه،

شريف في كرمه، والبخل هادم لهما، نعوذ بالله من البخل، وسوء الكبر.

الحيوانات عند الجاحظ:

قال الجاحظ وذكر الحيوانات: سبحان الذي جعل بعضها عليك عادياً، وبعضها لك

غادياً.

وصفه للكتاب:

قال الجاحظ في وصف الكتاب: وعاء مليء علماً، وظرف حشي ظرفاً، إن شئت كان

أعنى من باقل، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل، ومن لك ببستان يحمل في كم روضة

تقلب في حجرٍ ينطق عن الموتى. ويترجم كلام الأحياء⁽¹⁾.

حديث الأعراب العقلاء:

قال الجاحظ: ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع، ولا آنق، ولا ألد في الأسماع، ولا

أشد اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويماً للبيان، من طول استماع

حديث الأعراب العقلاء الفصحاء⁽²⁾.

قلت: تلقف الجاحظ اللغة الفصيحة من الأعراب، وكان يجالسهم ويأخذ عنهم

البيان والفصاحة.

(1) خاص الخاص للثعالبي ص 9.

(2) زهر الآداب وثمر الألباب (2 / 134).

تثمير المال عند الجاحظ:

قال أبو عثمان الجاحظ: اعلم أن تثمير المال آلة المكارم، وعون على الدين، وتأليف للإخوان وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه، والرغبة منه، ومن لم يكن بموضع رغبة، ولا رهبة استهان الناس به، فأجهد جهدك كله في أن تكون القلوب معلقة منك، برغبة أو برهبة، في دينٍ أو دنيا⁽¹⁾.

إذا رأى الأعراي موضع منتفخ:

قال عمرو بن بحر: إذا نظر الأعراي إلى موضعٍ منتفخٍ في أرضٍ مستوية، فإذا رآه يتصدع في تهيل، وكأن تفتحه مستويًا، علم أنها كمأة، وأن خلط في التصدع والحركة، علم أنها دابة فأتقى مكانها⁽²⁾.

تماسيح نهر مهران:

قال الجاحظ: إن تماسيح نهر مهران أصغر حجمًا، من تماسيح النيل، وأقل ضررًا، وذكر أنه يوجد في هذا النهر سبائك الذهب⁽³⁾.

عيوب البصرة عند الجاحظ:

قال الجاحظ: من عيوب البصرة اختلاف هوائها في يوم واحد، فأنهم يلبسون القمص مرة والمبطنات مرة، لاختلاف جواهر الساعات ومن ظريف ما قيل في اختلاف هواء البصرة قول ابن لنكك:

(1) العقد الفريد (2 / 319).

(2) بهجة المجالس لابن عبد البر (422/1).

(3) آثار البلاد وأخبار العباد ص 125.

نحن بالبصرة في لون من العيش طريف
نحن ما هبت شمال بين جنات وريف
فإذا هبت جنوب فكأننا في كنيف⁽¹⁾

زكاة التجار:

قال الجاحظ: أن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس، لأنهم منعوها وتجردوا فتركت عليهم، فصارت أموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء إليها، فإذا أخذوا أموالهم وإن كره التجار أخذها، كان ذلك لهم مباحاً لأن عين المال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء أرباب الأموال أو كرهوا⁽²⁾.



(1) آثار البلاد وأخبار العباد ص 185.
(2) الفرع بعد الشدة للتنوخي (1 / 330).

باب

في رسائل وقعت للجاحظ وفصول من كلامه القصار

رسالة الشكر للجاحظ:

قلت: وهذه نسخة رسالة أنشأها الجاحظ اسمها: «رسالة الشكر» قصد بها تقريض وزير المتوكل - الفتح بن خاقان - وشكر نعمه لديه، مصدراً لها بذكر حقيقة الشكر وبيان مقاصده، وهي⁽¹⁾: «جُعِلْتُ فداك، أيدك الله وأكرمك، وأعزك، وأتم نعمته عليك وعندك، ليس يكون الشكر - أبقاك الله - تاماً، ومن حد النقصان خارجاً، حتى يستصحب أربع خلال، ويشتمل على أربع خصال أولها: العلم بموقع النعمة من المنعم عليه، بقدر انتفاعه بما يصل إليه من ذلك: من سد خلة، أو مبلغ لذة وعلو في درجة، مع المعرفة بمقدار مصون، أو مفارقة علقٍ ثمين، وكيف لا يكون ذلك؟ وقد خول من نعمه بعض ما كان حبيساً على حوادث عدة، فزاد في نعم غيره بما أنتفض من نعم احتمال ما نهض به من ثقل الشكر.

والخصلة الثانية: الحرية الباعثة على حب المكافأة واستحسان المجازاة، والشكر من أكبر أبواب الأمانة، وأبعده من أسباب الخيانة، ولن يبلغ أحد في ذلك غاية المجد إلا بمعرفة الطمع، وإلا الحرب سجال بينهما، والظفر مقسوم عليهما.

كذلك حكم الأشياء إذا تساوت في القوة، وتقاربت في بلوغ المدة، وقد زعم ناس أن الشاكر والمنعم لا يستويان، كما أن البادئ بالظلم والمنتصر لا يعتدلان، لأن البادي أخذ ما ليس له، والمنتصر لم يتجاوز حقه الذي هو له، ولأن الباديء لم يكن مهيجاً على الظلم بعله جناها المنتصر، والمنتصر مهيج على المكافأة بعله جناها الباديء، والمثور للطباع المغضب، والمستخف المهيج، أعذر من الساكن الوادع المطمئن. فلذلك قالوا: إن الباديء أظلم، والمنتصر أعذر، وزعموا أن المنعم هو الذي أودع صدر الشاكر المحبة، بأنعامه عليه، وهيجه بذلك على مكافأته لإحسانه إليه، فقد صار المنعم هو الذي دفع للشاكر أداة الشكر، وأعمارهم آلة الوفاء، فهو من هاهنا أحق بالتقديم، وأولى بالترتيب.

هذا، وقد قال بعض الحكماء والأدباء والعلماء: من تمام كرم المنعم التغافل عن حجته والإقرار بالفضيلة لشاكر نعمته، لأن الحاجة مغالبة، ولا تتم مودة إلا على المسامحة. ولذلك قال الربيعي لناس من العرب يختصمون: هل لكم في الحق أو خير منه؟ قالوا: قد عرفنا الحق، فما الذي خير منه؟ قال: التغافل فإن الحق مرّ ألاً ترى إلى بنت هرم بن سنان لما قالت لابنة زهير بن أبي سلمى في بعض المناحات، أو في بعض المزاورات: إنه ليعجبني ما أرى من حسن شارتكم، ونقاء نفحتكم. قالت ابنة زهير: أما والله لئن قلت ما قلتِ فما ذلك إلا من فضول ما وهبتم، ومن بقايا ما أنعمتم. قالت بنت هرم: لا بل لكم الفضل، وعلينا الشكر، أعطيناكم ما يفنى، وأعطينمونا ما يبقى.

وقيل لعبد الله بن جعفر، حين أجزل لنصيب الشاعر في الهبة، وكثر له في العطية،
أتيل هذا العبد الأسود كل هذا النيل، وتحبوه بمثل هذا الحباء؟

فقال عبد الله بن جعفر: أما والله لئن كان أسود الجلد إنه لأبيض الشعر،
أعطيناه دراهم تفنى، وثياباً تبلى، ورواحل تنضى، وأعطانا ثناء يبقى وحديثاً يثنى، ومكارم لا
تبلى. فلهذه الخصال تكاملت خصال المجد فيهم، فظهر عنوان كرم الخير عليهم، فصاروا في
زمانهم مناراً، ولمن بعدهم أعلاماً. وليس تتم معاني كرم المنعم، ومعاني وفاء الشاكر، حتى
تتوفى أقوالهما، وتتفق أهواهما على تدامع الحجة، والإقرار بالمعجزة، فيزداد بذلك المنعم
فضلاً والشاكر نبلاً.

هذا جملة القول في خصلتين من الأربع التي قدمنا ذكرها وشهرنا أمرها.

والخصلة الثالثة: الديانة بالشكر، والإخلاص للمنعم في تصفية الود، فإن الدّين
قائد المروءة، كما أن المروءة خِطَامٌ⁽¹⁾ الحمية، وهذه الخصال وإن تشعبت في بعض
الوجوه، وافترقت في بعض الأماكن، فإنها ترجع إلى نصاب يجمعها، وإلى إناء يحفظها،
منه نجمت، وعنه أنبثت، وإليه رجعت، ولا اجتماع هذه الخصال على مخالفة
الهوى، ومجانبة الهوينى، وعلى إتهام دواعي الشهوة، والامتناع من كلب الطبيعة، وفق
الأولون بينها في جملة الاسم، وقارنوا بينها في جمهرة الحكم. ولذلك قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه: اعتبر عَزْمُهُ بحميته، وحَزْمُهُ بمتاع بيته. ومدار جميع الأحوال المحمودة على الصبر،
ولن يتكلف مرارة الصبر من يجهل عاقبة الصبر. وقالوا لما صار الشكر لا يحتمل إلا بالصبر،
صار الشكر من نتاج الصبر. وكما أنه لا بد للحلم مع كرم الحلم من الصبر، فكذلك لا بد

للشكر مع كرم الشكر من الصبر. فالصبر يجري مع جميع الأفعال المحمودّة، كما يجري الهوى مع جميع الأفعال المذمومة. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل النار وحفها بالشهوات، وخلق الجنة وحفها بالمكاره»⁽¹⁾.

والخصلة الرابعة: وصف ذلك الإحسان باللسان البين، بالبيان النير، وباللفظ العذب الشهي، والمعنى الشريف البهي، فإن الكلام إذا كان حسناً، جعلته الحكماء أدباً، ووجدت الرواة إلى نشره سبباً، حتى يصير حديثاً مأثوراً، ومجداً مذكوراً، وداخلاً في أسمار الملوك، وسوقاً من أسواق المتأدبين، ووصلةً في المجالس، وزيادةً في العقل، وشحذاً للسان، وترهيفاً للقلب، وتلطيفاً للفكر وعمارةً للصدر وسُلماً إلى العُظماء، وسبباً إلى الجِلةِ الكُبراء.

وإذا لم يكن اللفظ رائعاً، والمعنى بارعاً، وبالنوادر مُوشحاً، وبالملاح مجلواً، لم تصغ له الأسماع، ولم تنشرح له الصدور، ولم تحفظه النفوس، ولم تنطق به الأفواه، ولم يخلد في الكتب، ولم يقيد بالدرس ولم يجذل به قائل، ولم يلتذ به سامع، ومتى لم يكن كذلك كان كلاماً ككلام اللغو، ومعاني السهو، وكالهجر الذي لا يفهم، والمستغلق الذي لا يعلم.

وليس - أبقاك الله - شئ أحوج إلى الحذق، ولا أفقر إلى الرفق من النجم، كما أنه لا شئ أحوج إلى وسع الطاقة، وإلى الفضل في القوة، وإلى البسطة في العلم، وإلى تمام العزم من الصبر.

(1) الحديث الذي ذكره الجاحظ لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن له شاهد في مسلم ومسنَد أحمد والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «حُفَّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّتِ النار بالشهوات»، وهو في البخاري: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حُجِبَتِ النار بالشهوات، وحُجِبَتِ الجنة بالمكاره».

وعلى أن الشكر في طبقات متفاوتة، ومنازل متباينة، وإن جمعها أسم، فليس يجمعها حكم، فرمما كان كلاماً تجيش به الصدور، وتمجه الأفواه، وتجذف به الألسنة، ويستعمل فيه الرأي المقتضب، والخاطر المحتار، والكلام المرتجل، فيرمى به على عواهنه، وتبني مصادره على غير موارده، لا يتعذر فيه الشاكرون لانتفاع المنعمين، كما تعذر المنعمون لانتفاع الشاكرين.

وليست غاية القائل إلا أن يُعدَّ بليغاً مفهوهاً أو يستزيد به، إلى نعمه السالفة، نعماً آنفة أوليس إلا ليغتر كريماً، أو يختدع غنياً لا يتفقد ساعات القول، ولا يتعرف أقدار المستمحين؟ وليس غايته إلا الكسب والتعرض والانتفاع والترنج، وعلى هذا يدور شكر المستأكلين، وإحماد المتكسبين.

وهذا الباب وان جعلته العوام شكراً، فهو بغير الشكر أشبه، وبذلك أولى وربما كان شكره عن تأنق وتذكير، وعن تخير وتخير، وعن تفقد للحالات، وتحصيل للأمور في المقامات التي تحيط بهجته، وبحضرة عدو لا يزال مترصداً لنعمته، فرمما التمس الزيادة في غبطه، وربما التمس شفاء دائه، وإصلاح قلبه، ونفض المبرم من معاقد حقه على قدر البرد، وعلى قدر تصرف الحالات في المصلحة، لأن الشاكر كالرائد لأهله، وكزعيم رهطه، والمشار إليه عند مشورته، فرمما اختار أن يكون شكره شعراً لأن ذلك أشهر، وربما اختار أن يكون كلاماً منشوراً، لأن ذلك أنبل، وربما أظهر اليسر، وانتحل الثروة، وجعل من الدليل على ذلك كثرة النفقة، وحسن الشارة، ويرى أن ذلك أصدق المدح، وأنبل الشاكرين، ويجعل قائده إلى هذا المذهب، وبين هذين الشاكرين طبقات معروفة، ومنازل معلومة، وموضع الشكر من قلب السامع في القبول والاستنامة على قدر

حسن النية، والذي يعرف به الشاكر، من صدق اللهجة، ومن قلة السرف، واعتدال المذاهب، والاقتصاد في القول.

وهذا باب سوى الباب الآخر، من حسن الوصف، وجودة الوصف⁽¹⁾.

قلت: هذا ما جاء في بعض رسالته وهي رسالة في غاية الحسن من الوصف والبلاغة التي يتمتع بها هذا الأديب عفا الله عنه.

رسالة الجاحظ لبعض إخوانه يذم فيه الزمان:

بسم الله الرحمن الرحيم، حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة وأستعمله بالطاعة، كتبت إليك وحالي حال من كثفت غمومه وأشكلت عليه أموره وأشتبه عليه حال دهره ومخرج أمره وقل عنده من يثق بوفائه، أو يحمد مغبة⁽²⁾ إخوانه لاستحالة زماننا وفساد أيامنا ودولة أئدالنا، وقدماً كان من قدم الحياء على نفسه، وحكم الصدق في قوله، وآثر الحق في أموره، ونبت المشتبهات عليه من شؤونه، وتمت له السلامة وفاز بوفور حظ العافية، وحمد مغبة مكروه العاقبة، فنظرنا إذ حال عندنا حكمه وتحولت دولته فوجدنا الحياء متصلاً بالحرمان، والصدق آفة على المال، والقصد في الطلب بترك استعمال القحة، وأخلاق العرض من طريق التوكل دليلاً على سخافة الرأي، إذ صارت الحظوة الباسقة والنعمة السابغة في لؤم النية، وتناول الرزق من جهة محاشاة الوقار وملابسة قعر العار. ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا، والكاسر لحجتنا فأقمنا له علماً واضحاً، وشاهداً قائماً، ومناراً بيناً إذ وجدنا من فيه السفولية الواضحة

(1) صبح الأعشى (14 / 296).

(2) المغبة من كل شي: عاقبته وآخره.

والمثالب⁽¹⁾ الفاضحة والكذب المبرح⁽²⁾ والخلف⁽³⁾ المصرح والجهالة المفرطة والركاكة⁽⁴⁾ المستخفة وضعف اليقين والأستيئاب⁽⁵⁾ وسرعة الغضب والخفة قد أستكمل سروره وأعتدلت أموره وفاز بالسهم الأغلب والحظ الأوفر والقدر الرفيع والجواب الطائع⁽⁶⁾ والأمر النافذ إما زل قيل حكم وإن أخطأ قيل أصاب وإن هذي⁽⁷⁾ في كلامه، وهو يقظان قيل رؤيا صادقة في سنة مباركة.

فهذه حجتنا - أبقاك الله - على من زعم أن الجهل يخفض⁽⁸⁾ وإن الحمق يضع وإن النوك يردي⁽⁹⁾ وأن الكذب يضر وأن الخلف يرزي⁽¹⁰⁾.

ثم نظرنا في الوفاء والأمانة والنبيل والبراعة وحسن المذهب وكمال المروءة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة. والفائق في سعة عمله والحاكم على نفسه والغالب لهواه فوجدنا فلان بن فلان ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ولا قام له بوظائف فرضه، ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به فهذا دليل على أن الطَّلَاحَ⁽¹¹⁾ اجدى من الصَّلاح وأن الفضل قد مضى زمانه وعفت آثاره

(1) المثالب: العيوب.

(2) المبرح: المشتد.

(3) الخلف: كثير الاختلاف، والخلفُ: الرديء من القول.

(4) الركاكة: الضعف والرقّة.

(5) الاستيئاب: سأله أن يثيبه.

(6) أي لا يحاب إلا بما فيه طاعته.

(7) هذي فلان: تكلم بغير معقول.

(8) يخفض: ينقص.

(9) يردي: يهلك.

(10) يرزي: يعيب.

(11) الطَّلَاح: الفساد.

وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ووجدنا العقل يشقى به قرينه كما أن الجهل والحمق يحظى به خذينه⁽¹⁾ ووجدنا الشعر ناطقاً على الزمان ومعرّباً عن الأيام. حيث يقول:

تَحَامُقُ مَعَ الْحَمَقِ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ وَلَا قِهِمُ بِالْجَهْلِ فَعِلْ أَخِي الْجَهْلِ
وَخَلَطُ إِذَا لَاقَيْتَ يَوْمًا مَخْلُطًا يَخْلُطُ فِي قَوْلٍ صَحِيحٍ وَفِي هَزَلٍ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعَدُ بِالْعَقْلِ

فبقيت أبقاك الله، مثل من أصبح على أوفاز⁽²⁾ ومن النُقلة على جهاز لا عقابيلها⁽³⁾ فلو أن الدعاء أجيب والتضرع سُمع لكنت الهدية العظمى، والرجفة الكبرى، فليت الذي يا أخي ما استبطئه من النفخة، ومن فجأة الصلبة قُضي فحان، وأذن به فكان، فوالله ما عُدبت أمة برجفة، ولا ريح ولا سخطة، عذاب عيني برؤية المغايضة المضنية، والأخبار المهلكة، كأن الزمان توكل بعذابي، أو انتصب لإيلامي، فما عيش من لا يسر بأخ شقيق، ولا خدن شقيق ولا يصطبح في أول نهاره إلا برؤية من تكره رؤيته، ونعمة من تُغمه طلعتة فبدّل الله لي - أي أخي - بالمسكن مسكناً وبالربع ربعاً فقد طالت الغمة وواطنت الكربة⁽⁴⁾ وادلهمت الظلمة وخمد السراج، وتباطأ الانفراج، والسلام⁽⁵⁾.

(1) خذينه: صديقه.

(2) على أوفاز: على عجلة.

(3) عقابيلها: العقابيل الشدائد وبقايا العلة.

(4) وواطنت الكربة: عايشها.

(5) العقد الفريد (7 / 171).

فصول بليغة للجاحظ

فصول في عتاب

«أما بعد، فإن المكافأة بالإحسان فريضة، والتفضل على غير ذوي الإحسان نافلة».

«أما بعد، فليكن السكوت على لسانك، إن كانت العافية من شأنك».

«أما بعد، فلا تزهد فيما رغب إليك، فتكون لحظك معانداً، وللنعمة جاحداً».

«أما بعد، فإن العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان

والنفس طالبة فبأيهما ظفرت كانت في حربه».

«أما بعد، فإن الأشخاص كالأشجار، والحركات كالأغصان، والألفاظ كالثمار».

«أما بعد، فإن القلوب أوعية، والعقول معادن، فما في الوعاء ينفذ، إذا لم يمهده

المعدن».

«أما بعد، فكفى بالتجارب تأديباً، وتقلب الأيام عظة، وبأخلاق من عاشت معرفة،

وبذكر الموت زاجراً».

«أما بعد، فإن أهل النظر في العواقب أولوا الاستعداد للنوائب، وما عظمت نعمة أمري إلا استغرقت الدنيا همته، ومن فرغ لطلب الآخرة شغله، جعل الأيام مطايا عمله، والآخرة مقيل مرتحلة».

«أما بعد، فإن الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرزق والأجل والاستغناء غير ناقص للمقادير».

«أما بعد، فإنه ليس كل من حلم أمسك وقد يستجهل الحليم حتى يستخفه الهجر».

«أما بعد، فإن أحببت أن تتم لك المقة في قلوب إخوانك فاستقل كثيراً مما توليهم».

«أما بعد، فإن أنظر الناس في العاقبة والتجاوز، واستل حقه بالرفق والتحب».

وكتب الجاحظ إلى أبي حاتم السجستاني وبلغه عنه أنه نال منه: «أما بعد، فلو كفت عنا من غربك، لكنا أهلاً لذلك منك والسلام».

فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح.

وله فصول في وصاه:

«أما بعد، فإن أحق من أسعفته في حاجته وأجبتة إلى طلبته، من توسل إليك بالأمل ونزع نحوك بالرجاء».

«أما بعد، فما أقبح الأحدثة من مستمنح حرمة وطالب حاجة رددته، ومثابر

حجته ومنبسطة إليك قبضته ومقبل إليك بعنانه لويت عنه فتثبت في ذلك: ﴿ولا تطع كل

حلاف مهين * همار مشاء بنميم﴾ [لقلم: 10-11]».

«أما بعد، فإن فلاناً أسبابه متصلة بنا، يلزمنا ذمامه، وبلوغ موافقته من أياديك عندنا، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته، فأولنا فيه ما تعرف موقعنا من حسن رأيك، ويكون مكافأة لحقه علينا».

«أما بعد، فقد أتانا كتابك في فلان، وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته ورعاية حقه، ونحن من العناية بأمره على ما كان في حرمة ويؤدي شكره».

وله فصول في استنجاز وعد:

«أما بعد، فقد رسفنا في قيود مواعيدك، وطال مقامنا في سجون مطلق فأطلقنا أبقاك الله من ضيقها وشديد غمها بنعم منك ثمرة أو لا مريحة».

«أما بعد، فإن شجر مواعيدك قد أورقت، فليكن ثمرها سالماً من جوائح المطلق، والسلام».

«أما بعد، فإن سحائب وعدك قد برقت، فليكن وبؤها سالماً من صواعق المطلق والاعتلال».

وله فصول في الاعتذار:

«أما بعد، فنعم البديل من الزلة الاعتذار، ولبس العوض، من التوبة الإصرار».

«أما بعد، فإن أحق ما عطفت عليه بحلمك من لم يتشفع إليك بغيرك».

«أما بعد، فإنه لا عوض من إخائك، ولا حلف من حسن رأيك، وقد انتقمت مني في زلتي بجفائك، فأطلق أسير تشوقي إلى لقاءك».

«أما بعد، فإنني بمعرفتي بمبلغ حلمك وغابة عفوك ضمنت لنفسي العفو من زلتها عندك».

«أما بعد، فإن من جحد إحسانك بسوء مقاتتك فيك، مكذب نفسه بما يبدو للناس منه».

«أما بعد، فقد مسني من الألم ما لم يشفه غير مواصلتك مع حبسك الاعتذار من هفوتك ولكن ذنبك تغتفره مودتك فامنن علينا بصلتك تكن بدلا من مساءتك وعوضاً من هفوتك».

«أما بعد، فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع لهفات الإخوان».

«أما بعد، فإن أولى الناس عندي بالصفح من أسلمه إلى ملكك التماس رضاك من غير مقدرة منك عليه».

«أما بعد، فإن كنت ذممتني على الإساءة فلم رضيت لنفسك المكافأة».

وله فصول في التعازي:

«أما بعد، فإن الماضي قبلك الباقي لك والباقي بعدك المأجور فيك ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]».

«أما بعد، فإن في الله العزاء من كل هالك والخلف من كل مصاب، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة».

«أما بعد، فإن الصبر يعقبه الأجر والجزع يعقبه الهلع فتمسك بحظك من الصبر تنل به الذي تطلب وتدرك به الذي تأمل».

«أما بعد، فقد كفى بكتاب الله واعظاً ولذوي الألباب زاجراً فعليك بالتلاوة تنج ما أوعد الله به أهل المعصية»⁽¹⁾.

خبر الرقعة التي أرسلها الجاحظ إلى إبراهيم بن المدبر:

قال عبد الله بن جعفر الوكيل: كنت يوماً عند إبراهيم بن المدبر فرأيت بين رُقعة يردد النظر إليها، فقلت له: ما شأن هذه الرقعة؟ كأنه استعجم عليك شيء منه، فقال: هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ، وكلامه يعجبني وأنا اردده على نفسي لشدة إعجابي، فقلت: هل يجوز أن أقرأها؟ قال: نعم، وألقاها إليّ فإذا فيها: «ما ضاء لي نهار ولا دجا ليلٌ مُذ فارقتك إلّا وجدت الشوق إليك قد حز في كبدي، والأسف عليك قد أسقط في يدي، والنزاع نحوك قد خان جلدي، فأنا بين حشاً خافقة ودمعة مهراقة، ونفس قد ذبلت بما تجاهد، وجوانح قد أبليت بما تكابد، وذكرت وأنا على فراش الارتماض ممنوع من لذة الإغماض قول بشار:

إِذَا هَتَفَ الْقُمْرِيُّ نَازَعَنِي الْهُوَى بِشَوْقٍ فَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي مَنِ الْوَجْدِ
أَبَى اللَّهَ أَلَّا أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَنَا وَكُنَّا كَمَاءِ الْمَزْنِ شَيْبَ مَعَ الشَّهْدِ
لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَاناً وَبَيْنَهَا كَمَا كَانَ بَيْنَ الْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

فانتظم وصّف ما كنا نتعاشر عليه، ونجري في مودتنا إليه في شعره هذا وذكرت أيضاً ما رماني به الدهر من فرقة أعزائي من أخواني الذين أنت أعزهم، ويمتحنني بمن نأى من أحبائي وخلصائي الذين أنت أحبهم وأخلصهم. ويجر

(1) العقد الفريد (4 / 285 - 287).

عينه من مرارة نأيهم وبعد لقائهم وسألت الله أن يقرن آيات سروري بالقرب منك، ولين
عيشي بسرعة أوبتك، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجدي، ولكنه ما يتضمنه قلبي». وهي:

يَخْدِي مِنْ قَطْرِ الدُّمُوعِ نَدُوبٌ وَبِالْقَلْبِ مِنْ مِثْلِ نَائِتٍ وَجَيْبٌ
وَلِي نَفْسٌ حَتَّى الدُّجَى يَصْدَعُ الْحَشَا وَرَجَعُ حَنِينٍ لِلْفَوَادِ مُذِيبٌ
وَلِي شَاهِدٌ مِنْ ضَرِّ نَفْسِي وَسُقْمِهِ يُخْبِرُ عَنِّي أَنْتَنِي لَكَيْبٌ
كَأَنِّي لَمْ أَفْجِعْ بِفَرَقَةٍ صَاحِبٍ وَلَا غَابَ عَنِ عَيْنِي سَوَاكَ حَبِيبٌ

فقلت لابن المدبر: هذه رقعة عاشقٍ لا رُقعةُ خادِمٍ، ورقعة غائبٍ لا رُقعة حَاضِرٍ،
فضحك وقال: نحن ننسب مع أبي عثمان إلى ما هو أرق من هذا وألطف فأما الغيبة فإننا
نجتمع في كل ثلاثة أيام وتأخر ذلك لشغل عرض لي فخاطبني فخاطبة الغائب وأقام انقطاع
العادة مقام الغيبة⁽¹⁾.

وكتب إلى قُليب المغربي:

«والله يا قليب، لولا أن كبدي في هواك مقروحة، وروحي بك مجروحة، لساجلتك
هذه القطيعة، وماددتك حبل المصارمة، وأرجو أن الله تعالى يديل صبري من جفائك،
فيردك إلى مودتي، وأنف القلى راغم، فقد طال العهد بالاجتماع، حتى كدنا نتناكر عند
الالتقاء»⁽²⁾.



(1) معجم الأدباء (92/16-94).

(2) سرح العيون ص 255.

باب

أخبار الجاحظ في أيامه الأخيرة

خبر إصابة الجاحظ بالفالج والنقرس:

قلت: قيل أن سبب علة الجاحظ، أنه حضر مائدة ابن أبي داود وفي الطعام سمك ولبن، وكان ابن بختيشوع الطبيب حاضراً، فنهاه عن الجمع بينهما، فقال الجاحظ: إن السمك إن كان مضاداً للبن فإني إذا أكلتها دفع كل منهما ضرر الآخر، وإن كانا متساويين فكأنني أكلتُ شيئاً واحداً. فقال ابن بختيشوع: أنا لا أحسن الكلام، ولكن إن شئت أن تجرب فكل، فأكل فأصابه فالج عظيم ونقرس، حتى دخل عليه بعض أصحابه فقال له: كيف حالك فقال: اصطلحت على الإعلال ولو خرج شقي الأيمن ما أحسست به من الفالج ولو مرت على شقي الأيسر ذبابة أوجعتني، وأشد ما أشكو التسعون⁽¹⁾.

قلت: يعني التسعون: أي أنه بلغ هذا العمر.

قال يموت بن المزرع: وكان يعني الجاحظ - يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور، لشدة حرارته، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده.

(1) سرح العيون ص 253.

قول الجاحظ للمتطبب يشكو إليه علة:

وقال الجاحظ للمتطبب يشكو إليه علة: اصطلحت الأضرار على جسدي إن أكلت

بارداً أخذ برجلي وإن أكلت حاراً أخذ برأسي⁽¹⁾.

خبر دخول المبرد على الجاحظ أيام علة:

وَحَدَّثَ الْمُبْرَدُ قَالَ: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له: كيف أنت؟ فقال:

كيف يكون من نصفه مفلوج لو خز بالمشير ما شعر به ونصفه الآخر منقرس⁽²⁾ لو طار

الذباب بقربه لآلمه، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها، ثم أنشدنا:

أَتَرْجَوُ أَنْ تُكُونَ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَمَا قَدْ كُنْتَ أَيَّامَ الشَّبَابِ

لَقَدْ كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ دَرِيسٌ كَالْجَدِيدِ مِنَ الثِّيَابِ⁽³⁾

قلت: من هذه الرواية يتبين لنا أن الجاحظ في علة تلك قد تجاوز التسعين من

عمره.

رسول المتوكل يطلب الجاحظ:

ويروى عن عَبدان الطبيب قال: دخلنا على الجاحظ نَعَوْدُهُ، فَأَتَى إِلَيْهِ

رسول المتوكل يطلبه، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل، ولعاب سائل؟

ما تقولون في رَجُلٍ له شقان: أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس، والآخر يمر به

(1) معجم الأدباء (114/16).

(2) النقرس: هو ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين.

(3) معجم الأدباء (113/16).

الذباب فيغوث، وأكثر ما أشكو الثمانون⁽¹⁾، ثم انشد أبياتاً من قصيدة عوف بن محلم الحراني يعني التي فيها:

أن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان⁽²⁾

قلت: وهذا ربما كان هذا في أول علقته، فإن المتوكل ووزيره ابن خاقان قد قُتلا بعد سنة سبع وأربعين ومائتين، والجاحظ قد توفي سنة خمس وخمسين ومائتين. وكان الجاحظ قد عُمِرَ وبقي كالحم على قضم.

ويروى عن المبرد، أنه دخل عليه وهي نفس الرواية السابقة إلا في آخرة يقول الجاحظ: «أني قد جاوزت التسعين».

خبر الجاحظ وزواره:

قلت: كان الجاحظ يستقبل زواره، ولكن ليس في كل مرة يستطيع ذلك، فقد كُبرَ سنُهُ واقعد وليس عنده إلا الكلام والحديث.

ومع هذا وذاك فقد كان نشيط وذاكرته لم تفت، يروى أن أحمد بن إسماعيل السقطي قال: سمعت أبا سعيد البصري قال: قدمت على الجاحظ بعد ما كُبرَ سنُهُ فقلت له: حدثني، فقال: أكتب الأمصار عشرة: الصناعة بالبصرة، والفصاحة بالكوفة، والتخنيث ببغداد، والغدر بالري والجفاء بنيسابور، والحسد بهراة، والطمزة بسمرقند، والمروءة ببلخ والبخل بهرو، والتجارة بمصر⁽³⁾.

(1) تاريخ الإسلام للذهبي (18/ 385).

(2) في رواية أخرى عند ابن عساكر في تاريخه (45/ 443).

(3) تاريخ دمشق (45/ 441).

خبر البرمكي وقدومه على الجاحظ:

قال بعض البرامكة: كنت أتقلد السند فاتصل بي أني صرفت عنها وكنت كسبت ثلاثين ألف دينار فخفت أن يفأجني الصارف، ويُسعى إليه بالمال، فَصُغْتُ عشرة آلاف إهليلجة⁽¹⁾، في كل إهليلجة ثلاثة مثاقيل وجعلتها في رحلي، ولم أبعد أن جاء الصارف فركبت البحر وانحدرت إلى البصرة، فُخِبرْتُ أن بها الجاحظ، وأنه عليل، فأحببت أن أراه قبل وفاته، فصرتُ إليه، فأفضيْتُ إلى باب دار لطيف، فقرعته فخرجت إليَّ خادماً صفراء فقالت: من أنت؟ فقلت: رجل غريب أَحَبَّ أن يدخل إلى الشيخ فيسر بالنظر إليه، فأدت ما قلت، وكانت المسافة قريبة لصغر الدهليز والحجرة، فسمعتة يقول: قولي له: وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل؟ فأخبرتني، فقلت: لأبد من الوصول إليه، فقال: هذا رجل قد أجتاز بالبصرة فسمع بي وبعلتي.. فقال: أراه قبل موته لأقول: قد رأيت الجاحظ.

فدخلت فسلمت فرد رداً جميلاً وأستدنانني وقال من تكون؟ أعزك الله، فانتسبتُ له، فقال: رحم الله أباك وقومك الأسخياء الأجواد، الكرام الأمجاد، لقد كانت أيامهم روض الأزمنة ولقد أنجبر بهم خلق، فسقياً لهم ورعياً، فدعوت له، وقلت: أنا أسأل الشيخ أن ينشدني شيئاً من الشعر أذكره به. فأنشدني:

لئن قُدمت قلبي رجالاً فطالما مشيتُ على رجلي فكنْتُ المَقْدَمَا
ولكنَ هذا الدهرُ تأتي صُرُوفُهُ فَبِرْمٌ منقُوصاً وتَنَقُّصُ مُبرمًا

(1) الإهليلج: هو ثمر قريب الشكل من البلح. يريد أنه صاغ الذهب على شكل الإهليلج.

ثم نهضت، فلما قاربت الدهليز صاح بي فقال: يا فتى أرأيت مفلوجاً ينفعه الإهليلج؟ فقلت: لا. قال: فأنا ينفعني الإهليلج الذي معك، فأنفذ إليّ منه، فقلت: السمع والطاعة وخرجت مفرط التعجب من وقوعه على خبري، حتى كأن بعض أحبائي كاتبه بخبري حين صغته فأنفذت إليه مائة إهليلجة⁽¹⁾.

تأسف الجاحظ لعدم انتفاعه بالخير:

قال القلابي: دخلت على الجاحظ من منصري من عند السلطان، وقد حسنت حاله، واشتدت به علته فسألته فقال: كنا إذا أردنا مرة لم نجد حتى إذا نحن وجدنا لم نرد⁽²⁾.

وفاة الجاحظ:

قلت: اختلف في سنة وفاته، وفيه نظر، ولكن أصح الأقوال أنه سنة خمس وخمسين ومائتين.

يروى أحمد بن يزيد محمد المهلب عن أبيه قال: قال لي المعتز بالله: يا يزيد ورد الخبر بموت الجاحظ، فقلت: لأمر المؤمنين طول البقاء، ودوام العز، قال: وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين.

قال لي المعتز: قد كنت أحب أن أشخصه إليّ، وأن يقيم عندي، فقلت له: إنه كان قبل موته عطلاً بالفلاج.

قال أحمد بن يزيد وفيه يقول أبو سراعة:

(1) زهر الآداب وثمر الألباب (2 / 233).

(2) محاضرات الأدباء (2 / 290).

في العلم للعلماء أن يتفهموه واعظ
وإذا نسيت وقد جمعت علا عليك الحافظ
ولقد رأيت الظرف دهرًا ما حواه لافظ
حتى أقام طرقه عمرو بن بحر الجاحظ
ثم انقضت أيامه⁽¹⁾ وهو الرئيس الغائظ

قال الخطيب: قرأت في كتاب عمرو بن محمد بن الحسن البصير، عن محمد بن يحيى الصولي قال: مات الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين⁽²⁾.

وقال أبو سليمان زبر في الوفيات: توفي سنة خمس ومائتين⁽³⁾.

قلت: وقيل أنه مات أثر سقوط قسم من كتبه فوق رأسه، وهو جالس كعادته يقرأ، فقضت عليه، فهو مصاب بالفالج - الشلل - ولهذا لم يكن بوسعه الفكاك من هذه الكتب التي انهالت عليه، والله أعلم.



(1) في تاريخ بغداد وفيه (ثم انقضى أمد به).

(2) تاريخ دمشق (443 / 45 - 444).

(3) تاريخ الإسلام للذهبي (18 / 375).

خاتمة

قَالَ أَبِي الْحَسَنِ تَرْكِي الدَّهْمَانِي غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ: هَذَا مَا تيسَّرَ لِي بِفَضْلِ الْكَرِيمِ
الْجَوَادِ، تصنيف كتاب «أخبار الجاحظ» سائلاً الْمُؤَلَّى جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَنْفَع بِهِ كَاتِبَهُ وَقَارِئَهُ
وَسَامِعَهُ، وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ تَأْلِيْفِهِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذُو الْقَعْدَةِ مِنْ شُهُورِ
سَنَةِ تِسْعَةِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً



قائمة المصادر والمراجع

- 1- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- 2- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- 3- الفرق بين الفرق للخطيب البغدادي.
- 4- وفيات الأعيان لابن خلكان.
- 5- طبقات المعتزلة لابن المرتضى.
- 6- البيان والتبيين للجاحظ.
- 7- تاريخ الإسلام - للذهبي.
- 8- مروج الذهب - للمسعودي.
- 9- تاريخ دمشق - لابن عساكر.
- 10- لسان الميزان - لابن حجر العسقلاني.
- 11- رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون.
- 12- المقابسات - لأبي حيان التوحيدي.
- 13- سرح العيون - لابن نباتة المصري.
- 14- الحيوان - للجاحظ.
- 15- معجم الأدباء - لياقوت الحموي.
- 16- خاص الخاص - للشعالبي.
- 17- الصناعتين - للعسكري.

- 18- مقدمة ابن خلدون.
- 19- البخلاء - للجاحظ.
- 20- المحاسن والأضداد - للجاحظ.
- 21- البرصان والعرجان - للجاحظ.
- 22- زهر الآداب وثمر الألباب - لأبي إسحاق القيرواني.
- 23- الفرغ بعد الشدة لأبي علي التنوخي.
- 24- محاضرات الأدباء - للراغب الأصفهاني.
- 25- نثر الدر - لأبي سعد منصور الآبي.
- 26- ثمرات الأوراق - لابن حجة الحموي.
- 27- العقد الفريد - لابن عبد ربه الأندلسي.
- 28- مجالس العلماء - للزجاجي.
- 29- أخبار النساء - لابن قيم الجوزية.
- 30- المستطرف في كل فن مستظرف - للابشيهي.
- 31- الأمالي - لأبي علي القالي.
- 32- الأغاني - لأبي الفرغ الأصفهاني.
- 33- بهجة المجالس - لابن عبد البر السقرطي.
- 34- الأمالي - للمرئضي.
- 35- كتاب الأوراق - لأبي بكر الصولي.
- 36- آثار البلاد وأخبار العباد - للإمام زكريا القرويني.
- 37- صبح الأعشى في صناعة الإنشا - للعلامة القلقشندي.

تم بحمد الله

طبع في أمواج



الأردن - عمان - ماركا الشمالية - دوار المطار
 ص.ب ٣٣٠٩٥٩ - الرمز البريدي ١١١٣٤ عمان
 تليفون: ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١
 E-mail: amwajpub@yahoo.com

